الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام

إعـــداد

العميد / فيصل بن جعفر بالي

مســتــشــار الشؤون الـديـنـيـة للقوات

المـشــتــركة ومـســرح الـعــمـلـيـــات

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

إلى إخواني

الضباط .. وضباط الصف .. والجنود

إلى المرابطين

في جبهات القتال جهاداً في سبيل الله وأداءً للواجب.

إلى إخواني ..

المحافظين على دين الله .. المدافعين عن مقدسات الإسلام، والحامين لأعراض المسلمين.

وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه موافقاً السنة ﷺ وأن يرزقنا به الطاعة والاتباع والقبول، والرضا.

فيصل بالي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين امنوا اتقو الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقو الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[2].

﴿ يا أيها الذين أمنو اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾[3] (*)

وبعد فإن الناظر إلى الامة الاسلامية في عصرنا هذا يجدها مستهدفة من قبل أعدائها وهي مشغولة عنهم، وهم يمكرون لاستدراجها إلى معارك فاصلة دون أن تكون قد أعدت لها الاعداد الكافية، بينما يقف الأعداء يرصدون وقد اعدو واستعدو على حين غفلة من الأمة الاسلامية لينقضوا عليها. وفي مثل هذا الواقع الأليم يتطلع الفرد من أبناء هذه الأمة ليطمئن قلبه على حال أمته فلا يجدها قد أعدت للأمر عدته، بل إنك تجد الكثير من الجيوش الاسلامية وأمرها غير مجموع، وقد تعددت مشاربها، واستمدت عقائدها القتالية من أصول لا تمت للإسلام بصلة وقد غاب مفهوم المبادئ الأساسية عند أكثر العناصر في تلك الجيوش الاسلامية واختلط الحق بالباطل وضعفت الصلة بالله تعالى، وفي مثل هذا المناخ القائم الذي لا يقوم على أساس متين ولا يأوي الى ركن ركين أمين تفشت الانحرافات عند الكثير من الأفراد في تلك الجيوش وقدمت المناصب والرتب والرواتب على حساب الهدف العسكري عندهم، وطبيعي أن ذلك قد ادى إلى استرخاء الفرد المقاتل وركونه إلى الدعة والعيش الرغيد وحب الدنيا وكراهية الموت، وهو ما لا يتأتى معه النصر أبدا ولاتقوم معه للأمة قائمة.

ولما كانت مثل هذه الدراسات تدخل في باب الاعداد المأمورة به الأمة فقد رأيت لزاما عليّ أن أشخص هذا الواقع المؤلم حتى يقوم غيري معي بتلمس العلاج له وفق خطة متكاملة وأن أسهم ولو باليسير مما ينعم الله به من جهد في القيام مع من ينوبون عن هذ الأمة في سد هذه الثغرة

---

(١) سورة ال عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٧٠ ـ ٧١.

(*) خطبة الحاجة أخرجها أبو داود والنسائي والحاكم والطيالسي وأحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي.

لتنبيه الأمة الاسلامية إلى مكامن قوتها وتستجيب لنداء ربها المعجز : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [1]. فإن وفقت فذلك بفضل الله ورحمته وإن قصرت واخطأت فذلك مني وأستغفر الله العظيم كما أسأله أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعنا بما علمنا ويرزقنا العمل به والاخلاص فيه إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

العميد

فيصل بن جعفر بالي

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

الحرب والسلام في الاسلام

إن الإسـلام يعتـبر الإعـداد للمعركة أمرا بالغ الحيوية، وله عظيم الأهمية. وليس في الإعـداد واتخـاذ الحيطة ما يوهم أن الإسـلام مولع بالحروب وإشعال نارها كما يروج أعداء الإسـلام والمفـترون عليه. وانـما الاعداد ليكون وسيلة إلى ردع العدو ومنعه من الاعتداء، وبذلك يكون الاعداد سببا للسلام من الدخول في المعركة، ولكن إذا اقتضى الأمر ولم يكن من الحرب مفر فنكون على استعداد كي لا نؤخذ على حين غرة.

ولنا من معارك رسول الله ﷺ أوضح دليل على ما ذكرناه، فلقد قاد رسول الله ﷺ ثمانيا وعشرين غزوة ضد المشركين، نشب القتال في تسع منها فقط وهي: (بدر، أحد، الخندق، بنوقريظة، بنو المصطلق، خيبر، فتح مكة، حنين، الطائف). بينما فر الأعداء في تسع عشرة غزوة دون قتال.

ومن حروبه ـ ﷺ ومسالمته لبعض هذه الغزوات نرى أن نشرح موقف الإسلام لكل من الحرب والسلام كتمهيد بين يدي موضوعنا.

فمنذ خلق الله آدم عليه السلام وأنزله إلى الأرض أطلت الحروب برأسها لتعكر صفوا كان بين شقيقين، وهما أبنا آدم عليه السلام قابيل وهابيل. يحدثنا القرآن الكريم فيقول: ﴿ واتـل عليهم نبـأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبـوء بإثمـي واثمـك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[1].

ولعلي أجده مناسبا أن أبدأ (بالسلام) وما تعنيه هذه الكلمة وعلاقتها بالاسلام.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٧ ـ ٣٠ .

السلام وما يعنيه

السلام في الأصل: البراء من العيوب والآفات، والسلام: السلامة، والسلام: الاستسلام ، والسلام: الاسم من التسليم.

والسلم: بكسر السين وفتحها ـ الصلح، ويذكّر ويؤنث، وسالمه مسالمة وسلاما، والسلم: الاسلام، والسلام: التحية عند المسلمين، والسلام: الأمان والصلح، ويطلق السلام اسما لمكة شرفها الله، وكذلك هو اسم لبغداد، ودار السلام: الجنة، وتسالما من السلم مثل تصالحا من الصلح، وسالما مسالمة: صالحا، ومنه الحديث (أسلم سالمها الله)(١) هو من المسالمة وترك الحروب. والسلام: اسم من أسماء الله تعالى لسلامته من النقص والعيب. وانتقد السهيلي هذا التأويل في شرحه قول خديجة رضي الله عنها: (الله السلام ومنه السلام، وعلى جبريل السلام) حيث قال: (علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام كما يرد عليه المخلوق لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها الله السلام فكيف أقول عليه السلام، والسلام منه يسأل ومنه يأتي؟ فلا يليق بالله سبحانه وتعالى إلا الثناء عليه)(٢) (والفرق بين السلام والسلامة فرق عظيم بينما أكثر أهل اللغة يقولون أنهما بمعنى واحد. فالرضاعة تقع على الرضعة الواحدة والرضاع أكثر من ذلك، والجلال أعم من الجلالة، واللذاذ أبلغ من اللذاذه، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة وعمهم بالسلام من الاختلال والتفاوت، وكذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه وتعالى فهو في أفعالة سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اخلال)

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي ـ تاج العروس من جواهر القوس (٨: ٣٣٨ ـ ٣٤٠).

و (أسلم سالمها الله) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ٥ : ٧٣٢ برقم ٣٩٤٨ وتكملة الحديث (وغفار غفر الله لها) وقد حكم الترمذي بصحته، انظر سنن الترمذي، تحقيق أبراهيم عطوة عوض طبعة دار احياء التراث العربي.

(٢) السهيلي ـ الروض الأنف ومعه السيرة النبوية لابن هشام (١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) (١ : ٢٦٥) طبعة دار الفكر.

علاقة الاسلام بالسلام

السلام في الإسلام فكرة أصيلة عميقة ترجع إلى نظام الإسلام، وتلتقي عندما تشريعات وتوجيهاته، ولقد اختار الله لدينه مسمى الإسلام فكان علما له وجعل السلام ملاك أمره وجوهر حقيقته، وأصدق دلالة يحمله، الإسم عن حقيقة مسماه فيؤخذ من الاسـلام السلام والسلم والمسالمة فيجد المرء السكينة والأمن والسلام مع نفسه ومع الإنسانية كلها.(١) .

والإسلام شريعة السلام ودين الرحمة، لايخالف في ذلك إلا جاهل بأحكامه، أو حاقد على نظامه، أو مكابر لايقتنع بدليل ولا يسلم لبرهان. والمؤمنون بهذا الدين لم يسموا أسما أفضل من أن يكونوا مسلمين ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . . . ﴾(٢)

ولقد ذكر السلام ومشتقاته في القرآن الكريم في مائة وثمان وثلاثين آية.(٣) . والقرآن كله سلام، لأنه نور وهداية للبشرية ممن آمن به واتبع هداه، ونزل هذا القرآن في موكب من الملائكة يحف به السلام: ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ (٤) .

وتحيتنا فيما بيننا هي السلام، لقوله تعالى ﴿ فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾(٥) وتحية الملائكة لنا يوم القيامة: ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾(٦) . وتحيتنا يوم نلقى ربنا: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما ﴾(٧) وختام صلواتنا بالسلام على النبي ﷺ والسلام على أنفسنا. ومناجاتنا في أعقاب صلاتنا (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام) وهي التي أعد الله لعباده الصالحين، وهو سبحانه (الملك القدوس السلام) (٨) .

---

(١) سيد قطب ـ السلام العالمي والاسلام (ص ١١).

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣) المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ٣٥٥ ـ ٣٥٧ محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الاسلامية، استانبول، تركيا.

(٤) سورة القدر: الآية ٤.

(٥) سورة النور: الآية ٦١.

(٦) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٤٤.

(٨) رواه مسلم. أنظر صحيح مسلم بشرح النووي. طبعة دار الفكر بيروت (٥ : ٨٩) ولفظ مسلم ـ اللهم أنت السلام منك الاسلام تباركت ياذا الجلال والاكرام.

(٩) جزء من الآية ٢٣ من سورة الحشر.

والمسلمون دعاة اسلام وسلام، والمسلم لا يكون مسلما حقا إلا إذا كان على هذا الوصف لفظا ومعنى وعملا كما يقول الرسول ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) (١) .

وليس في الدنيا شريعة دينية ولا نظام اجتماعي فرض السلام تدريبا عمليا، واعتبره شعيرة من الشعائر، وركنا من أركانه، كما فرض الإسلام السلام رياضة للنفس عند الاحرام بالحج، فمتى أهل المسلم بالحج فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة أن يقص ظفرا، أو يحلق شعرا أو يقطع نباتا، أو يعضد شجرا، أو يقتل حيوانا، أو يرمي صيدا، أو يؤذي أحدا بيد أو لسان ولو وجد قاتل أبيه وجها لوجه لما استطاع أن يمسه بشيء (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)(٢) ، فهو بهذا الإحرام قد أصبح سلما لنفسه، سلما لغيره من إنسان أو حيوان، أو نبات، فالسلام إذن هو القاعدة الدائمة، والحرب هي الاستثناء لأن الاسلام ينفي منذ الخطوة الأولى معظم الأسباب التي تثير في الارض الحروب، ويستبعد ألواناً من الحرب لا يقر بواعثها وأهدافها، والحرب الوحيدة التي يقرها الاسلام مأخوذة من قوله ﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(٣) . (وإن من تحقيق إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى أن يصل هذا الخير والهدى الذي جاء به الإسلام إلى الناس جميعا، والا يحول بينهم وبينه حائل، فمن وقف في طريق هذا الخير أن يصل إلى الناس كافة وحال بينهم وبينه بالقوة فهو إذن معتد على كلمة الله فوجب إزالته من طريق الدعوة لتحقيق كلمة الله، لا لفرض المجيء بالإسلام فرضا على الناس ولكن لمنحهم حرية المعرفة وخير الهداية)(٤) .

مفهوم السلام بين دعوة النسخ وعدمه :

اختلف الباحثون في مفهوم السلام بين مؤيد الاستجابة الفورية دون قيد أو شرط، مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾(٥) ، وبين معارض يرى أنه لا يلجأ الى السلم أبدا وأن الدعوة الى السلم منسوخة، وسيتضح لنا الرأي الصحيح بين هذين الرأيين بعد البحث إن شاء الله على ضوء ما قال المفسرون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الايمان باب المسلم من سلم المسلمون . . . (١ : ٩).

(٢) جزء من الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

(٣) أخرجه الخمسة عن أبي موسى رضي الله عنه .

(٤) سيد قطب ـ السلام العالمي والاسلام (ص ١٨-٢٠).

(٥) جزء من الآية ٦١ من سورة الأنفال.

وإيضاحا لنوعية السلام الذي أمر الله به في الآيتين الكريمتين من قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلو في السلم كافة ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾[2] يقول صاحب تفسير المنار: (السلم: المسالمة والانقياد والتسليم. فيطلق على الصلح والسلام وعلى دين الإسلام. وقد فسره بعضهم بالصلح، وبعضهم بالإسلام، وجعل بعضهم (كافة) حالا من السلم، أيْ ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. والأساس هو الاستسلام لأمر الله والإخلاص له)[3]

ومن أصولها الوفاق والمسالمة بين الناس وترك الحروب والقتال بين المهتدين به. والحاصل أن الآية تفيد أخذ الإسلام بجملته وذلك بالنظر في جميع ما جاء به الشارع والعمل به.

وهناك تفسير للفظ: (كافة) بمعنى جميعا، وأنها حال من ضمير الجماعة في قوله (آمنوا) أي لا يتخلف منكم أحد عن الإسلام والمراد بالذين آمنوا على هذا الوجه الأخير مؤمنوا أهل الكتاب. أي يا أيها الذين آمنوا بالأنبياء السابقين. ولكنه ضعف هذا القول الذي دل على أن الآية نزلت في شأن جماعة من اليهود طلبوا منه ﷺ أن يقوموا الليل بالتوراة)... الخ كلامه فانظره[3] .

وذكر صاحب الكشاف ما يفيد أن المراد بها الاستسلام والانقياد لله تعالى أي استسلموا لله وأطيعوه، و (كافة) أي لا يخرج منكم أحد عن طاعته، وقيل هو الإسلام، والمراد بالخطاب أهل الكتاب لأنهم آمنوا بأنبيائهم، أو المراد: المنافقون لأنهم آمنو بالسنتهم دون قلوبهم. [4] .

فتحصل أن المراد بالدخول في السلم هنا: الطاعة لله والانقياد له في جميع ما شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ ، أو الأمر لمن آمن من أهل الكتاب أن يؤمنوا بجميع الإسلام ويتركوا ما كانوا عليـه من شرائع أنبيائهم السابقين، وإن كان هذا القول ضعيفا ولكن هذا لايمنع من دخول المسالمة والمصالحة في ذلك، حيث كان الاسلام يدعو الى ذلك ويرشد إليه لأن المعنى: استسلموا لله وانقادوا إليه بالطاعة، فمن طاعة الله أن يسالم المسلمون من سالمهم ويصالحوا من صالحهم عملا بقوله تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) [5] ، مع أن بعض العلماء فسر الآية بأن المراد منها المصالحة والمسالمة وترك الحرب كما ذكره صاحب المنار.

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٢ .

(٣) رشيد رضا ـ تفسير المنار (٢ : ٢٥٦ ـ ٢٥٨)

(٤) الزمخشري ـ الكاشف (١ : ١٢٧) .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٦١

أما ابن كثير فقد جعل الآية تدل على الأمر للمؤمنين بالعمل بجميع شعب الإيمان كلها ما استطاع المسلمون ذلك. وقد حكى قولا عن قتادة أنها في الموادعة.(١)

وفي الآية الثالثة يقول الله تعالى ﴿ وإن جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾(٢) السلم كالصلح، وهو ضد الحرب، والإسلام دين السلم والسلام فالمعنى أن الكفار إذا مالوا عن جانب الحرب خلاف ما هو معهود منهم إلى جانب الصلح فمل أيها الرسول إليه لأنك أولى بالسلم منهم.

وقيل إن الآية خاصة باهل الكتاب لأنها نزلت في بني قريظة ولكن ابن كثير جعل هذا القول محـل نظر حيث قال: إن هذه السورة كلها نزلت في وقعة بدر، ولكن صلحه عليه السلام مع المشركين عام الحديبية يكون مخصصا للعموم على فرض أنها في بني قريظة. وقيل: هي عامة ولكنها نسخت بآية السيف في براءة لأن مشركي العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام، روى ذلك عن مجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخرساني وعكرمة والحسن وقتادة، ومع هذا فإن ابن كثير جعل هذا ايضا محل نظر حيث قال: إن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيرا فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه الآية وكما فعل عليه السلام يوم الحديبية فلا نسخ ولا تخصيص علي هذ)(٢). وقال الزمخشري : (إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)(٣)، ذكر عن ابن عباس، وذكر ذلك مجاهد أن الناسخ لها قوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(٤). ثم قال، والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيــه الإمام صلاح الاسلام وأهله من الحرب أو السلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا، أو يجابوا إلى الهدنة أبدا)(٥).

قلت: إن كلام الزمخشري يؤكد أن الأمر هنا مقيد بالمصلحة للمسلمين فإذا كانت المصلحة لهم في الميل إلى الصلح تعين الميل، وإن كانت في عدمه تعين تركه. وقد تقدم من كلام صاحب ـار نقــلا عن ابن كثــير ما يؤيد هذا وأنه لا نسخ ولا تخصيص، ويؤيده أيضا كلام ابن العربي(٥) حيث قال عند هذه الآية: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ (قيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ وقيل إن معنى الآية: إن دعاك الكفار الى الصلح فأجبهم، قاله: ابن زيد والسدي، وقيل معناها: وإن جنحوا الى السلم فاجنح

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (١ : ٢٤٧ ـ ٢٤٨)

(٢) انظر رشيد رضا تفسير المنار (١٠ .)٢٢٣ : ٢(ميظعلا نآرقلا ريسفت ـ ريثك نباو)٧٠ ـ ٩٦ ص

(٣) سورة التوبة : الآية ٢٩.

(٤) سورة التوبة : جزء من الآية ٥.

(٥) الزمخشري ـ الكشاف (٢ : ١٣٣).

لها، يعني قريظة فكان الضمير (لها) على هذا التفسير عائد على قريظة لا على السلم، لأن الجزية تقبل منهم ولا تقبل من المشركين) [٥] . وعزا هذا القول لمجاهد من طريق محمد ابن اسحاق. ثم قال (أمـا قول من قال: إنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين فدعوى، فإن شروط النسخ معدومة فيها. وأما قول من قال: إن دعوك إلى الصلح فأجبهم فإنه يختلف الجواب فيه وقد قال الله تعالى: ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾[٢] إذا كان المسلمون على عزة وفي قوة ومنعة ومغانب[٣] عديدة وعدة شديدة:

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا   وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإذا كان للمسلمين مصلحة في الصلح لا نتفاع يجلب به، أو ضر يندفع بسببه فلا بأس أن يبتدىء المسلمون به إذا احتاجو إليه أو يجيبوا إذا دعوا إليه)[١] . ثم ذكر صلحه صلى الله عليه وسلم مع قريش وغيرهم إلى أن قال : (عقد الصلح ليس بلازم للمسلمين، وإنما هو جائز باتفاقهم أجمعين، ثم قال أيضا: ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بالمال يبذلونه للعدو. والأصل في ذلك موادعته صلى الله عليه وسلم لعيينة بن حصن وغيره يوم الأحزاب على أن يعطيه نصف تمر المدينة) .[٤]

أما ابن كثير فإن ثمرة كلامه عند آية ﴿ وإن جنحو للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ تقدم نقلنا لها عند نقل كلام صاحب المنار فإنه نقل كلامه كله وزاد عليه وخلاصته كما تقدم أن الآية لانسخ فيها ولا تخصيص ولا منافاة بينها وبين آيات السيف التي ادعى نسخها بها[٥] .

وقال ابن كثير أيضا عند قوله تعالى من سورة محمد : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون ﴾ ما نصه (فلا تهنوا اي لا تضعفوا عن الأعداء وتدعو الى السلم اي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار حال قوتكم وكثرة عدَدَكم وعُدَدِكم. أما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه الى الصلح)[٦] .

---

(١) ابو بكر ابن العربي ـ أحكام القرآن (١ : ٣١٢).

(٢) جزء من الآية ٣٥ من سورة محمد.

(٣) المغانب : العدد من الخيل.

(٤) انظر أبو بكر ابن العربي : أحكام القرآن (٢ : ٨٧٦) وهذه الصفقة لم تتم حيث لم يرض بها السعدان سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فانظر ذلك في مواضعه من وكتب السير ومتب التفاسير ـ بيد أن قدوم النبي ﷺ وإبرامه له معه دليل جوازه. انظر ص ١٨ من هذا البحث.

(٥) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم (٢ : ٣٢٢).

(٦) المصدر السابق نفسه (٤ : ١٨١).

أما القرطبي فإنه أيضا يميل إلى أن آية ﴿ وإن جنحو للسلم ﴾ غير منسوخة وذلك أنه ذكر عن قتادة وعكرمة وابن عباس أنها منسوخة، فابن عباس يرى أن الناسخ لها الآية التي في سورة محمد ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾ وقتادة وعكرمة يريان أنها منسوخة بآية السيف من براءة. ثم قال: وقيل غير منسوخة. بل أراد الجزية من أهل الجزية، ثم قال القرطبي: وقد صالح أصحاب رسول الله ﷺ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن بعده من الأئمة كثير من بلاد العجم على ما إخذوه منهم وتركوهم وهم قادرون على استئصالهم. ثم ذكر كلام ابن العربي الذي أوردناه، والذي ذكر فيه أن المسلمين إذا كانت لهم مصلحة في الصلح أجابوا له، وإن كانوا في عزة ومنعة وعَدَد وعُدَد فلا صلح.(١) .

وعلى هذا فحاصل ما ذكره هؤلاء المفسرون الأعلام أن آية البقرة ﴿ يأيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ المفهوم من معناها أن المراد منها دخول الناس، أي عملهم بجميع جزئيات الاسلام ما استطاعو الى ذلك سبيلا، سواء أكان الخطاب بها لمنسوبي أهل الكتاب ـ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ـ أم كان الخطاب لعامة المؤمنين. وقد حكى فيها قول بأن المراد الموادعة للكفار ومهادنتهم. وكان الكثيرون يرجحون غير ذلك، وإن آية الأنفال ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ غير منسوخة بل هي محكمة، وعليه فقد أمروا بالاستجابة إلى السلم فيها إذا دعوا إليه ولكنهم جعلوا ذلك مقيدا بالمصلحة العامة للمسلمين وما يراه الإمام في ذلك من المصلحة للإسلام والمسلمين. فإذا كانت المصلحة متمحضة في الجنوح للسلم والمهادنة والصلح ودعوا الى ذلك تعين عليهم، فإذا علموا في أنفسهم أن عدوهم أقوى منهم وأكثر عددا وعدداً ولا طاقة لهم به ولا مصلحة لهم في مواجهته ودعو إلى ذلك فالواجب عليهم الإستجابة له أسوة برسول الله ﷺ واصحابه من بعده، كما تقدم توضيحه.

فظهر من ذلك أن موقف المسلمين في هذا هو مظنة المصلحة أو عدمها. ومن هذا يتبين خطأً أحد الباحثين عندما أوجب الصلح على المسلمين من أول بادرة تعرض عليهم الصلح حيث يقول ما نصه : (فالإسلام من أجل تحقيق السلام دعا إلى الاستجابة إلى أية دعوة إلى السلام حتى ولو جاءت الدعوة والمسلمون في موقع القوة أو يملكون القدرة، فقد أمر الله تبارك وتعالى في سورة الأنفال (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ...) أمر واضح وصريح، فإذا طلب أعداؤك السلام فإن الاستجابة لازمة وواجبه وواقعه بأمر الله الذي لايمكن لمؤمن أن يعصه أو يخالفه) (٢).

---

(١) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن (٣٩٠٨ ـ ٤٠)

(٢) محمد فرج ـ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ (ص ١١٤) دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٧٧ .

ولعل هذا النص لا يتمشى مع قول المفسرين إذا قلنا بأن الآية محكمة وليست منسوخة أخذا بقول الإمام الشاطبي : من أن الجمع بين الأدلة أولى من القول بالنسخ [٤] إلا أن هذا النص لم يشمل إلا شرطا واحدا وفقد منه شرطان: فالشرط الموجود هو الجنوح إلى السلم من قبلهم ، والمفقودان هما:

الأول : اشتراط عدم الهوان للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿ فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الاعلون ﴾[٢] .

مراعاة مصلحة المسلمين من قبل الإمام. كما أن هذه المصلحة لم تترك هكذا، وإنما هناك شروط للمصلحة ذكرها الأصوليون في كتبهم:

١ ـ أن تكون مصلحة حقيقية غير وهمية.

٢ ـ أن تكون مصلحة عامة غير خاصة.

٣ ـ ألا تصادم نصاً من كتاب أو سنة.[٣]

ويذكر صاحب ظلال القرآن عند تعرضه لهذه القضية ق تفسيره لقوله تعالى ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾

أن الآية لا تتضمن حكما مطلقا نهائيا في الباب، وأن الأحكام النهائية نزلت فيما بعد في سورة براءة. إنما أمر الله رسوله أن يقبل مسالمة وموادعة ذلك الفريق الذي اعتزله فلم يقاتله سواء كان قد تعاهد أو لم يتعاهد معه حتى ذلك الحين، وأنه ظل يقبل السلم من الكفار وأهل الكتاب حتى نزلت أحكام سورة براءة فلم يعد يقبل إلا الإسلام أو الجزية، وهذه حالة المسالمة التي تقبل ما استقام أصحابها على عهدهم، أو هو القتال ليكون الدين كله لله. ثم يقول إنه ذكر ذلك لجلاء الشبهة الناشئة من الهزيمة الروحية والعقلية التي يعانيها الكثيرون ممن يكتبون عن (الجهاد في الاسلام) فيثقل ضغط الواقع الحاضر على أرواحهم وعقولهم ويستكثرون على دينهم الذين لا يدركون حقيقة أن يكون منهجه الثابت هو مواجهة البشرية كلها بواحدة من ثلاث : الإسلام، أو الجزية، أو القتال وهم يرون القوى الجاهلية كلها تحارب الإسلام وتناهضه وأهله الذين ينتسبون إليه وهم لا يدركون حقيقة ولا يشعرون بها شعورا جدياً، ضعاف أمام جحافل أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، كما يرون طلائع العصبة المسلمة الحقة قلة بل ندرة، ولا حول لهم في الارض ولا قوة،، وعندئذ يعمد الكتاب إلى لي أعناق النصوص ليؤولوها تأويلا يتمشى مع ضغط

---

(٢) سورة محمد : الآية ٣٥.

(٣) انظر أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها ـ د عبدالعزيز بن عبد الرحمن الربيعة، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ بتصرف طبعة ثالثة ١٤٠٢هـ نشر مؤسسة الرسالة بيروت.

(٤) انظر الموافقات للشاطبي (٤ : ٢٩٤ ـ ٢٩٥) تعارض الأدلة، طبعة دار المعرفة بيروت وأنظر الجزء (٣ : ١٠٦) نفس المصدر في النسخ.

الواقع وثقلة، ويستكثرون على دينهم أن يكون هذا منهجه وخطته.

إنهم يعمدون الى النصوص المرحلية فيجعلون منها نصوصا نهائيه، والى النصوص المقيدة بحالات خاصة فيجعلون منها نصوصا مطلقة الدلالة، حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أولوها وفق النصوص المقيدة المرحلة وذلك كله كي يصلوا إلى أن الجهاد في الإسلام هو مجرد عملية دفاع عن أشخاص المسلمين، وعن دار الإسلام عندما تهاجم، وأن الإسلام يتهالك على أي عرض للمسالمة. والمسالمة معناها: مجرد الكف من مهاجمة دار الإسلام في كل وقت وليس له الحق أن يطالب الآخرين باعتناقه ولا بالخضوع لمنهج الله اللهم إلا بكلمة أو نشره أو بيان. أما القوة المادية الممثلة في سلطان الجاهلية على الناس فليس للإسلام أن يهاجمها إلا أن تهاجمه فيتحرك حينئذ للدفاع. ولو أراد هؤلاء المهزومون روحيا وعقليا أمام ضغط الواقع الحاضر أن يلتمسوا في أحكام دينهم مايواجه هذا الواقع دون ليّ أعناق النصوص لوجدوا فيه هذه الواقعية الحركية في أحكامه وتصرفاته المرحلية التي كان يواجه بها ضغط الواقع المشابه لما نواجهه نحن اليوم، ولاستطاعوا أن يقولوا إنه في مثل هذه الحال كان الإسلام يتصرف على هذا النحو. ولكن هذه ليست هي القواعد الدائمة. إنما الأحكام والتصرفات التي تواجه الضرورة[1]

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن، مجلد ٣، ـ ١٠ (ص ١٥٤٦ ـ ١٥٤٧) مسلسل.

الحرب وما تعنيه

الحرب لغة: القتال بين فئتين، مؤنثة وقد تذكر على معنى القتال ، وجمعها حروب . والحرب نقيض السلم ويعنون به القتال والحرب السلب، وفي الحديث (المحروب من حرب دينه)[1] والحرب المعصية، يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ يحاربون الله ورسوله ﴾[2] وقال بعض أهل اللغة: الحرب هو الترامي بالسهام ثم المطاعنة بالرماح ثم المجالدة بالسيوف. والتحريب: إثارة الحرب.[3]

أما الحرب اصطلاحا: فهى صراع مسلح بين دولتين أو فريقين من الدول يكون الغرض منها الدفاع عن حقوق ومصالح الدولة المحاربة.[4]

وهناك تعريف للحرب العادلة : وهى التي توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم، كما يشترط فيها وجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن.[5]

ومن مرادفات الحرب : القتال، والغزو، والجهاد .

فالقتال لغة: من قاتله قتالا، حاربه ودافعه، وفي حديث المار بين يدي المصلي قوله ﷺ (فليقاتله فانما هو شيطان)[6] وقتله قتلا: أماته، ويقال : قتل الله فلانا : دفع شره، وقاتل الله فلانا :لعنه الله. ومنه قوله تعالى : ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .[7]

والغزو لغة: الخروج لمحاربة العدو، يقال : غزا العدو غزوا : سار الى قتالهم وانتهابهم في ديارهم .

والجهاد لغة: بذل الجهد واستفراغ الوسع، قال صاحب اللسان نقلا عن الزمخشري (جاهد العدو مجاهدة وجهادا : قاتله ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل)[8]

---

(١) الزبيدي تاج العروس (١:٢٠٥) وقد نقل الزبيدي عن الزمخشرس حديث (المحروب من حرب دينه فأورد من السياق ولم أجده في الصحاح ولا السنن ولا غريب الحديث. الراغب ـ المفردات (ص ١١٢)، الازهري ـ تهذيب اللغة (٥:٢١ـ٢٢).

(٢) سورة المائدة الآية ٣٣.

(٣) الزبيدي تاج العروس (١:٢٠٥)

(٤) وهبة الزحيلي ـ اثار الحرب في الفقه الإسلامي (ص ٣٥)

(٥) محمود شيت خطاب ـ الرسول القائد (ص ٣٩).

(٦) ابوداود ـ السنن (١: ٢٦) ح ٦٩٧. وهذا الحديث رواه الجماعة الا الترمذي وابن ماجة، انظر نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار للشوكاني (٣:٧) طبعة البابي الحلبي، مصر.

(٧) سورة المنافقون : الآية ٤

(٨) لسان العرب ـ محمد بن مكي بن منظور، مادة جهد .

وانظر الزمخشري ـ اساس البلاغة (١:٧٨)

والجهاد هو (قتال الكفار خاصة) انظر اصل التعريف في كشاف القناع لمنصور البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي، طبعة عالم الكتب بيروت ١٤٠٣ هـ (٣:٣٢)

وانظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (٤:٢٥٣) .

أما تعريف الجهاد شرعا فعرفه الحنفية بأنه : بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عزّ وجلّ بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك .[1] وبأنه الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله [2] وعرفه المالكية بأنه : قتال مسلم كافر غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى .[3] وهو كذلك عند الشافعية ، قال الحافظ بن حجر :(وشرعا بذل الجهد في قتال الكفار) [4] وعرفه الحنابلة : وشرعا قتال الكفار [5]

وأشمل هذه التعريفات ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : (والجهاد هو بذل الوسع - وهو القدرة - في حصول محبوب الحق ودفع ما يكره الحق .) وذكر في موضع آخر أن الجهاد (حقيقته الإجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان) [6]

---

(١) الكاساني - بدائع الصنائع (٩٠:٤٢٩٩) .

(٢) ابن عابدين - حاشية رد المحتار (٤:١٢١) الشوكاني - فتح القدير (٥:٣٦) .

(٣) الدردير - الشرح الصغير على اقرب المسالك (٢:٢٦٧) .

(٤) ابن حجر - فتح الباري، (١٠،١٩١-١٩٢) .

(٥) د . عبد الله بن احمد القادري - الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته (١:٤٩) .

(٦) ابن تيمية - مجموع الفتاوي (١٠،١٩١،١٩٢)

علاقة الاسلام بالحرب والسلام

المطلب الأول: علاقة الاسلام بالحرب.

الحرب ضرورة اجتماعية تقدر بقدرها، هكذا هى في نظر الاسلام، والحرب شر لابد منه اذا احتيج اليها لدرء الشر بالشر .

يقول الشاعر :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

فالحرب شر، لايفتح الإسلام بابه، ولا يهيج ناره، ولكن مع هذا فالإسلام يواجه واقعا لا مفر منه، فالحياة مليئة بالنفوس التي لها أهواء ومطامع وميول ونوازع، وهناك بغي وعدوان، وإفساد في الأرض وازعاج الآمنين وتسلط عليهم، وإذلال لهم .إذن فلا بد من الحرب لردع المعتدي وكف الظالم، ونصرة المظلوم، وتأمين الخائف، ففي هذه الحالة تكون فضيلة من أسمى الفضائل .[1]وفي هذا يقول تعالى :**﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾** .[2]وقد يتبادر إلى الذهن أنّ الحرب شر في كل أحوالها ولكنها قد تكون خيرا لما تحققه من مصالح ضرورية، مثلها مثل عملية جراحية تتوقف عليها حياة مريض، فمع ما يصاحبها من الألم لكنها تؤدي إلى خير، وصدق الله العظيم حيث يقول : **﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾** .[3]ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى كلمة (الحرب) في كتابه العزيز أربع مرات بمعنى (القتال) وهذه الايات هي[4]

١ ـ **قوله تعالى :﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾ .[1]وهذه الاية وردت في سياق وصف اليهود وإثارتهم للفتن المستمرة، وسعيهم للفساد في الأرض .**

٢ ـ **قوله تعالى : ﴿فإما تثقفنَّهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾**[2]وقد جاءت هذه الاية في سياق من يعاهدون المسلمين على السلم ثم يغدرون بهم ويشهرون الحروب،

---

(١) حسن البنا ـ السلام في الاسلام (ص ٢٩)

(٢) سورة البقرة آلاية ٢٥١ .

(٣) سورة البقرة : آلاية ٢١٦

(٤) المعجم المفهرس لالفاض القران الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٩٦ .

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٢) سورة الانفال : الآية ٥٧ .

وقد سبقها قول الله تعالى :﴿**إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**﴾[1]، فهو بيان واضح على أنّ نقض العهد صار دأبا لهؤلاء الكفار وعادة، وقد تكرر منهم أكثر من مرة، فهؤلاء ينبغي أن ينزل بهم عقاب يكون عبرة لغيرهم حتى تحترم العهود والمواثيق .

٣ - قوله تعالى ﴿**فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**﴾[2]فهذه الآية تعالج بعض الآثار المترتبة على نشوب الحرب بينهم وبين الكفار .

٤ - قوله تعالى :﴿**فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾[3]وهذه الآية لاتعلق لها الاصطلاحية وهي نشوب القتال بين طرفين ولكن معناها هنا غضب الله وعقابه الذي ينزل على من يخالف أمره

والغزو : الخروج في سبيل الله، في قوله ﷺ(من جهز غازيا في سبيل الله كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازى شيئا) [4].

ثم ذكر سبحانه في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى﴾ [5]، وغزى بضم الغين وتشديد الزاي جمع لغاز سواء كان غزوهم في وطنهم أو في بلاد أخرى.[6]

وكلمة : القتال جاءت في عشر آيات ، وأما مادتها فجاءت في آيات كثيرة ومقيدة بكونه في سبيل الله .

وكذلك كلمة الجهاد جاءت في أربعين موضعا في القرآن الكريم ، غالبا ما تكون مقيدة بكونه في سبيل الله [7] ولقد كان لورود كلمة الجهاد في سبيل الله والقتال في سبيل الله واختيار الاسلام لهما بدلا من كلمة الحرب حكمة لأن كلمة الحرب كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي يشب لهيبه وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية، والغايات التي ترمي إليها هذه الحروب لاتعدو أن تكون مجرد أغراض شخصية أو اجتماعية لاتكون فيها رائحة لفكرة، أو انتصار لمبدأ [8]

---

(١) سورة الانفال : الآيتان ٥٥ - ٥٦ .

(٢) سورة محمد : الآية ٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٧٩ .

(٤) ابن ماجه - سنن ابن ماجه (٢:٩٢٢) ح ٢٧٥٩ كتاب الجهاد باب من جهز غازيا .

(٥) سورة آل عمران : ١٥٦

(٦) رشيد رضا - تفسير المنار (٤:١٩٤)

(٧) محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ما قتل (ص ٥٣٣ - ٥٣٦)

(٨) ابو الأعلى المودودي - الجهاد في سبيل الله (ص ١٢)

والحرب في الإسلام واجب لغيره لإقامة العدل في الأرض (بتطبيق الشرع الإسلامي) عملا بقوله تعالى :﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[1]

والواجب قسمان : واجب لذاته وواجب لغيره . فالواجب لذاته كالصلاة والصوم ، وهو أمر يريد الشارع فعله بعينه . والواجب لغيره هو وسيلة للواجب لذاته ، فأداء الصلاة جماعة في المسجد لا يتأتى إلّا بالمشي إليها ، فأصبح المشي واجبا لغيره ، والصلاة لذاتها[2] . ومقدمة الواجب : مقدمة وجود ومقدمة وجوب وهناك ماهو مقدور للإنسان وهو الذي عليه التكليف ، وهناك ماهو غير مقدور للإنسان كحولان الحول وزوال الشمس للصلاة فهذه غير مكلف فيها لكن الوضوء للصلاة واحضار الماء والمشي للصلاة جاء التكليف فيها[3] .

(١) سورة الانفال : الآية ٣٩ .

(٢) الفرض والواجب ـ هو مايثاب فاعله ويستحق العقاب تاركه .

(٣) أنظر الواضح في اصول الفقه للمبتدئين د . محمد سليمان الاشقر ص ٢٤ .
وأنظر شرح الكوكب المنير (١:٣٥٧) طبعة مركز البحث العلمي جامعة الملك عبد العزيز .

أهداف الحرب في الإسلام

الأصل في الإسلام عصمة الدماء ، ولهذا كان النبي ﷺ ينهى عن قتل الشيوخ والصبيان والنساء والعسيف والرهبان والا يجهزوا على جريح وألا يلحقوا مدبرا .[(١)]

وعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أيما رجل أمن رجل على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وان كان المقتول كافرا)[(٢)] وفي رواية ابن ماجه (من أمن رجلا على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة)[(٣)] وعن ابي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وان ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام)[(٤)]فالإسلام يحرم القتل والحرب ولا يدعو إليها إلّا لغايات وأهداف سامية ، دلنا على ذلك الكتاب والسنة ، وتتلخص في الآتي :

١ ـ رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين : وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين** ﴾[(٥)]كما أن أول آية نزلت من آيات القتال فيها الإذن في قوله تعالى ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾[(٦)]وروى مسلم والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :(**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله أرأي إن عدي على مالي؟ قال: فأنشد بالله، قال: فإن أبوا؟ قال فانشد بالله، قال: قال فإن أبوا علي؟ قال: فقاتل، فإن قُتلت ففي الجنة وإن قَتلت ففي النار**)[(٧)]

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعد بن يزيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :ـ (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد)[(٨)] وروى البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن

---

(١)الشوكاني ـ نيل الاوطار ، باب الكف عن قصد النساء بالقتل (٢٤٧:٧) وفي الباب عدة احاديث منها ما رواه الجماعة الا النسائي والعسيف : الاجير

(٢) المنذري ـ الترغيب والترهيب (١٢:٤)

(٣) ابن ماجه ـ سنن ابن ماجه (٢١:٢) ح ٢٦٨٨

(٤) المنذري ـ الترغيب والترهيب (١٢:٤)

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٠ .

(٦) سورة الحج : الآية ٣٩ .

(٧) حسن البنا ـ السلام في الاسلام (ص٥٢) والحديث رواه مسلم في كتاي الايمان باب الدليل على ان من قصد اخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه انظر مسلم بشرح النووي (١٢٤:١) ورواه النسائي في كتاب تحريم الدم باب ما يفعل من تعرض لماله (١١٤:٧) واحمد في مسنده (٢: ٣٣٩ ـ ٣٦٠) واللفظ هنا للنسائي

(٨) الترمذي ـ سنن الترمذي (٢٨:٤) ح ١٤١٨ . وكذلك (٢٩:٤) ح ١٤٢٠ ابن ماجه ـ سنن ابن ماجه (٨٦١:٢ ـ ٨٦٢) باب من قتل دون ماله . ح ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١ ، ٢٥٨٢ والنسائي ، باب من قتل دون ماله (١١٤:٧ ـ ١١٥) .

العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد) (١)

٢ ـ تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين : الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ﴾ (٢)

٣ ـ حماية الدعوة حتى تبلغ الناس جميعا : ويتحدد موقفهم منه تحديدا واضحا وذلك أن الإسلام جاء للناس جميعا . يقول الله تعالى : ﴿ وما ارسلناك إلا كآفة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (٣) فيجب علينا إبلاغ الدعوة لجميع الناس وأن نزيل كل عقبة تقف في طريق التبليغ ولا نكره أحدا على قبول الدعوة أو الدخول في الإسلام ، يقول الله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٤)

٤ ـ تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين : التي تتمرد على أمر الله وتأبى حكم العدل ، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ (٥) ويقول تعالى :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (٦)

٥ ـ إغاثة المظلومين من المؤمنين : أينما كانو والانتصار لهم من الظالمين . وفي ذلك يقول الله تعالى :﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾ (٧) فالإسلام لايجيز الحرب لغير ما ذكر ليحمي السلام ويكون حارسا لحماه من

---

(١) البخاري ـ الجامع الصحيح (٣: ١٧٩) والترمذي ـ سنن الترمذي (٤: ٣٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٧

(٣) سورة سبا : الآية ٢٨

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٦

(٥) سورة التوبة : : الآيتان ١٢ ـ ١٣

(٦) سورة الحجرات : الآية ٩

(٧) سورة الانفال : الآية ٧٢

أهل البغي والعدوان ، ولذلك يقول الله تعالى : **﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾**[٣]

فنزلت الآية الكريمة توضح لنا فضيلة التثبت والتأني قبل الحكم على الناس بالكفر بدون تدبر وروية ، وتنهانا عن أن نقول لمن ألقى الينا السلام لست مؤمنا ، بل يجب أن نؤمنه ، وأن نقبل ماظهر منه ونعامله بموجبه ، وهذا مايدل على سمو الإسلام ودعوته للسلام وطلبه الكف عن القتال بمجرد الاعلان بكلمة السلام مع التثبت واعطائه الفرصة الكافية لتظهر حقيقة قوله دون المطالبة بدليل على ذلك . وكذلك تبين لنا الاحاديث النبوية ان ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم ، فلا تخفر لهم ذمة ولا جوار ، فهذه أم هانيء ابنة أبي طالب تقول (ذهبت الى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره ، فسلمت عليه فقال : من هذه ؟ فقلت : أنا ام هانيء بنت ابي طالب ، فقال : مرحبا بأم هانيء ، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا ثوباً واحد فقلت : يارسول الله زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلا قد أجرته : فلان بن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ : (قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء قالت أم هانيء : وذلك ضحى)[١]

تلك هي الحرب في الاسلام ، لايخوضها المسلمون إلا حين لايكون لهم بد من خوضها ، إما رداً لعدوان ، أو دفاعاً عن دين ، أو عرض ، أو دم ، أو حماية للدعوة ، أو تأديباً لناكث أو باغ ، أو إغاثة لمظلوم . فالمسلم لايحارب إلأ مكرها على القتال[٢] أي حينما لاتبقى أمامه وسيلة لدفع الظلم غير القتال ـ وذلك بعد استنفاد جميع وسائل المسالمة . يعرض الاسلام ، وهو السلام بعينه ، فان أبوا فالجزية ، وهي سلام ، فان أبوا فليس لنا خيار إلاّ القتال . لذلك لم يكن القتال غاية أساسية وانما هو علاج ، وآخر الدواء الكي . فالغاية من الجهاد أن ينتشر الإسلام ، ويقوم العدل ، وينعم الناس بظله .

---

١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية والموادعة ، باب أمان النساء وجوارهن ، انظر ابن حجر ـ فتح الباري (٦:٢٧٣) .

١) ليس شغوفا على ملك الدماء ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

٣) سورة النساء : الآية ٩٤

هل الحرب في الإسلام هجومية أم دفاعية ؟

قبل أن نتعرض لهذه التسمية لابد لنا من الإشارة إلى المراحل التي مر بها الجهاد منذ بعثة النبي ﷺ إلى أن أكمل الله هذا الدين وكتب له النصر والتأييد ، ولقد أمر الله المسلمين بكف أيديهم عن القتال في مكة على الرغم من تعدي المشركين عليهم وإيذائهم بكل ألوان الأذى ، وكان لله حكمة في ذلك ، وقد علل بعض المفسرين ذلك بسبب قلة عدد المسلمين ، وأنهم في بلد حرام فلم يؤمروا بالجهاد إلا بالمدينة لما صارت لهم دار منعة وأنصار .(١)

وكانت الدعوة بمكة دعوة إلى الله محققة بدون قتال ، ثم تبدأ المرحلة الأولى بالأذن بالقتال في قوله تعالى :﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾(٢).
ثم تأتي المرحلة الثانية ، وهي فرض القتال على المسلمين لقوله تعالى ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين** ﴾(٣) وتدل هذه الآية وأمثالها على أن القتال هنا للدفاع عن النفس فهو فرض في حالة بدء الكفار بالقتال ومحظور مقاتلة من سالم الكفار .

ثم تأتي المرحلة الاخيرة ، وهي قتال الكفار من بدأ منهم بالقتال ومن لم يبدأ ، لأن الأصل في الكفار ليس المسالمة بل المقاتلة والفتنة . يقول الله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ .(٤) وهذه الآية وأمثالها تدل على قتال الكفار من أهل الكتاب حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية ، وهذ آخر مراحل الجهاد التي استقر عليها . ولقد رجح المحققون عدم النسخ لأي مرحلة من المراحل الجهادية ، وهو الظاهر .(٥)

---

(١) د. عبد الله القادري ـ حقيقة الجهاد في سبيل الله وغايته في الإسلام (ص ٢٠١)

(٢) سورة الحج : الآية ٣٩

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٠

(٤) سورة التوبة : الآية ٣٩

(٥) د. عبد الله القادري ـ حقيقة الجهاد (ص ٢١٠) والطبري ـ جامع البيان (٣٤:١٠) والقرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن (٣٩:٨) وابن كثير ـ تفسير القران العظيم (٣٢٢:٢) .

وعلى ذلك فإن للمسلمين أن يعملوا بحكم أي مرحلة منها إذا كانت ظروفهم مشابهة للظروف التي نزلت فيها آياتها ، والقول بغير هذا يؤدي الى مواجهة الواقع بما لايكافئه ، وبالتكليف بما هو فوق الطاقة .

أمّـا أن يقف بعض الكتاب الإسلاميين عند مرحلة من هذه المراحل كمرحلة الدفاع ويسمون بها الجهاد الإسلامي بانه الحرب الدفاعية فهذه تسمية غير صحيحة وكذلك من يأخذ من الكتـاب بالمرحلة الأخيرة من الجهاد ويطلق عليها الحرب الهجومية فلم يحالفه التوفيق في هذه التسمية . إن من يحاول حصر الجهاد الاسلامي في الدفاع أو الهجوم فيريد أن يجعل من الجهاد صورة لما يقع من الحروب بين الناس اليوم فهو في ذلك لم يوفق ، ولكن الجهاد له بواعثه وأغراضه وغاياته فلنتلمسها في الإسلام ذاته ، إن ما اصطلحوا عليه اليوم من تقسيم القتـال الهجومي والدفاعي لايصح إطلاقه على الجهاد الإسلامي البتة وإنما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية والوطنية فقط [٢] . كما ان كلمة الدفاع والهجوم مصـطلحان عسكريان لهما مفهومهما في العمليات الحربية والتخطيط والتكتيك العسكري فالجهـاد اسم شامـل كامـل لجميع العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومبادأة وتطويق، وانسحاب وتقهقر ، وتقدم والتفاف ، يؤخذ من كل منها ما يمليه الموقف ويرتضيه الإسلام، دون تخصيصه بمسمى الدفاع أو الهجوم .

(١) د. عبد القادري ـ حقيقة الجهاد (ص٢١١)

(٢) أبو الأعلى المردودي ـ الجهاد في سبيل الله (ص ٤١)

تهيئة الأمة للمعركة

بيان المقصود من تهيئة الأمة:

التهيئة : هي الإعداد والتأهب والإصلاح، وهيأته للأمر : أعددته، وتهيأ للأمر تأهب له وأعد نفسه لمزاولته وأخذ أهبته له وتفرغ له، هيأ فلان الأمر تهيئة وتهيئا : أصلحه ويسره، وفي التنزيل العزيز ﴿ وهيء لنا من امرنا رشدا ﴾ (١)

والأمة من الناس : هي الجماعة أو العدد الكثيف . وهي التي تجمعها روابط مشتركة، كالجنس أو الدين أو الأرض أو الأهداف المشتركة أو التاريخ المشترك أو اللغة، أو غير ذلك من الروابط، وقد يطلق لفظ الأمة على الملأ من الناس، فيقصد به الجماعة أو العدد الكثير، قال تعالى ﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾(٢) وقد يطلق على الفرد الواحد ويراد به الامام الذي يقود الناس ويؤم بهم، كما في قوله تعالى : ﴿ إن ابراهيم كان أمة ﴾(٣) أي إماماً وهاديا للخير (٤)

وتهيئة الأمة للمعركة : إعدادها وجعلها متأهبة مستعدة ومتيقظة ومتحسبة لكل ما يخططه العدو من النيل من معنوياتها بنشر وبث دعاياته الكاذبة المضللة أو اللجوء إلى الضغوط السياسية أو الاقتصادية أو الحربية. فمتى ما كانت الأمة على وعي تام بما يحاك حولها وما يبيت لها من أعدائها ولديها الاستعداد لأن تتحمل كل ما يواجهها

---

(١) مجمع اللغة ـ المعجم الوسيط (٢ : ١٠٠٢) . والآية هي رقم ١٠ من سورة الكهف.

الفيمي ـ المصباح المنير (٢ : ٣٢٠).

(٢) سورة القصص: جزء من الآية ٢٣ .

(٣) سورة النحل : جزاء من الآية ١٢٠ .

(٤) الماوردي ـ النكت والعيون (٢ : ٤١٥) والقاسمي ـ تفسير القاسمي (١٠ : ١٧٥).

بعزيمة وصبر وإيمان، محتسبة ذلك عند الله شاكرة على نعمائه، صابرة على بلائه، كانت أمة عظيمة تستحق خيرية الله لها في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[٥] ولقد قيل إن وراء كل جيش عظيم أمة عظيمة تكون له درعا واقيا، وهي الفئة التي ينحاز إليها الجيش إن حز به أمر أو ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولنا مثل حي بتلك الأمة التي رباها رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة حينما قدم خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن معه من غزوة مؤته منسحبا، وكان انسحابه نصرا كبيرا إذا ما قورن عدد المسلمين بعدد أعدائهم من الروم، يقول ابن هشام : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله ، قال ، فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.[٦] فهذه الأمة التي رباها رسول الله ﷺ لم تفرح بعودة إخوانهم سالمين من معركة كان الانسحاب فيها نصرا.

---

(٥) سورة آل عمران : جزء من الآية ١١٠ .

(٦) ابن هشام - السيرة النبوية (٣ : ٥١٥).

ترغيب الامة في الجهاد والبذل والتضحية

ترغيب الأمة في الجهاد:

من عوامل تهيئة الأمة للمعركة الإسلامية ترغيبها في الجهاد ببيان فضل المجاهد على القاعد، وبيان ما أعده الله من الثواب والأجر له في الآخرة وبيان منزلته يوم القيامة وما يناله من فضل ورضوان إن هو نال الشهادة في سبيل الله، لكون الشهادة لا تعطى لكل المجاهدين، وإنما هي درجة عالية لا ينالها إلا من اصطفاه الله واتخذه شهيدا، فترغيب الأمة في نيل تلك الدرجة العالية من الرضوان يجعلها تفزع إلى الجهاد في سبيل الله، ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ .(١)

بالإضافة إلى بيان ما يناله المجاهد من غنيمة يغنمها من الأعداء. والغنيمة لها واقع حسن وأثر جميل في نفس المجاهد إضافة إلى قيمتها المادية فان لها دلالة أخرى على تكريم المجاهد في الدنيا، إذ فيها اعتراف ضمني بما بذل من جهد ومشاركة في المعركة ضد أعدائه وأعداء الدين، وفي ذلك حافز له ولغيره للخروج جهادا في سبيل الله.

ومما يرغب في الجهاد اطمئنان المجاهد إلى وجود من يرعى أهله وأبناءه من بعده وفي غيبته وتكفل الأمة جميعها برعاية أبناء المجاهدين وأسرهم فإن ذلك حافز للأمة في أن تخرج للجهاد وهي مطمئنة إلى وجود من يعتني بشأن أبنائها فيتفرغون للجهاد بنفوس مطمئنة ومعنويات عالية.

وقد يتم ذلك بطرق شتى وأساليب مختلفة من ضمنها أن تنشيء الدولة جمعيات ومؤسسات لرعاية أسر المجاهدين والشهداء وغير ذلك من الطرق الأخرى المناسبة، كما يمكن من خلال مؤسسات الإعلام تشجيع المتطوعين لرعاية أسر المجاهدين والشهداء وتبيان فضل من خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٠.

ومن الطرق والوســائل لتهيئة الأمة تنشئة الأجيال في المدارس على حب الغزو والجهاد وبث الروح الجهادية في الشباب وإدخال أنظمة التدريب الطوعي والإلزامي وإقامة المعسكرات التدريبية وإدخال المادة الجهادية ضمن المقررات الدراسية لتفهيم الطلاب فقه الجهاد فينشأ النشء على حب الغزو والجهاد والمرابطة.

ومن طرق تهيئة الأمة استنفار العلماء لندب الأمة للخروج في سبيل الله وتبيان أنواع الجهاد وأن أي عمل يؤديه الإنسان في ثغرة من الثغور مما من شأنه أن يقود إلى النصر أو يعين في الجهاد فهو من الجهاد في سبيل الله الذي يعطي الله عليه الأجر والثواب. وأن كل فرد في الأمــة يقوم على ثغرة من الثغور يجب عليه المحافظة عليها فلا يؤتي المسلمون من قبلها.

البـــخل

إن البذل عامل مهم في تهيئة الأمة الإسلامية للمعركة، ذلك أن المال هو الذي تقوم به بنية المجاهدين ويتمكنون من الوصول إلى العدو به ويستعينون به الاستعداد الذي أمرهم الله به وذلك في قوله تعالى **﴿ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾**.(١)

وقد فسر رسول الله ﷺ القوة في الآية بأنها الرمي. فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة : ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي)(٢) وكيف يعد المسلمون لعدوهم ما استطاعوا من القوة إلا بالبذل والسخاء ؟ لأن الأمة الإسلامية لم تكن متساوية في المال بل فيها الغني والفقير والمتوسط ولا شك أن الأغنياء وحدهم لا يستـطيعـون مجابهة أعباء المسلمين ولا شك أن الفقراء إذا لم يجدوا من يحملهم ويجهزهم إلى ميدان المعركة لا يستطيعون المشاركة في المعركة، فمن هنا يتعين البذل

---

(١) سورة الأنفال : جزء من الآية ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ : ١٥٢٢) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

حتى يتمكن جميع المجاهدين من الاستعداد التام للمعركة، وقد ظهر أثر ذلك حينما هم رسول الله ﷺ بغزوة تبوك زمن العسرة وطلب من الأغنياء مواساة الفقراء فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدوره المعروف حيث جهز الكثير من جيش المسلمين بأن حملهم على الإبل وزودهم بالنقود الكثيرة كماهو معروف محله من كتب السيرة والحديث عند الكلام عن غزوة تبوك، وفي مناقبه رضي الله عنه فقد روى الترمذي في سننه أنه رضي الله عنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله لتجهيز جيش العسرة لتبوك، وقال الرسول ﷺ في شأنه ما على عثمان ما عمل بعد هذه.(١)

ولأهمية البذل نرى القرآن الكريم أمر بالجهاد بالأنفس والأموال وقدم ذكر الأموال على الأنفس لأن المال هو الذي به قوام الجهاد بل هو الذي به قوام الحياة كما قال تعالى ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ﴾(٢) وتقديم الأموال على الأنفس لهذا المعنى ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الصف: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾(٣) وكقوله تعالى في سورة التوبة ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالك وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾(٥) وهذا الأمر يدل دلالة على تأكد البذل وكونه عاملا أساسيا في تهيئة الأمة الاسلامية للمعركة لأن التهيئة بدون بذل المال غير ممكنه والجهاد دون وجود المال غير ممكن، والله جل وعلا فاضل بين عبيده في رزقه كما قال تعالى ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾(٦) فإن لم يحصل بذل من الأغنياء لم يتمكن الفقراء من تهيئة أنفسهم

(١) سنن الترمذي (٥ : ٢٨٧) وما بعدها.

(٢) سورة النساء : جزء من الآية ٥ . ومعنى قياما : أي تقوم بها معايشكم .
ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (١ : ٤٥).

(٣) سورة الصف : الآيتان ١٠ ـ ١١.

(٤) سورة التوبة : الآية ١٤ .

(٥) سورة الحديد : جزء من الآية ١٠ .

(٦) سورة النحل : جزء من الآية ٧١ .

للمعركة ولم يتمكن الأغنياء من مواجهة العدو ولا من نصرة الاسلام وأهله . وقد قدم على رسول الله ﷺ ناس من فقراء أصحابه عجزوا عن السفر معه إلى تبوك لعدم وجود ما يحملون عليه ولما أخبرهم ﷺ انه لا يجد ما يحملهم عليه رجعوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على عدم وجود ما يمكنهم من الخروج معه ﷺ في تلك الغزوة العظيمة غزوة تبوك . وذلك في قوله تعالى ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ﴾.[1]

وقد كان الرعيل الأول يدركون مدى فعالية البذل وكانوا لا يقصرون فيه كما تقدم عن عثمان رضي الله عنه في غزوة تبوك.

وثبت في صحيح مسلم من حديث انس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال : يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز ، قال : ائت فلانا فإنه كان قد تجهز فمرض ، فأتاه فقال إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول : أعطه الذي تجهزت به قال : يا فلانه : أعطه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئا ، فوالله لا تحبسي منه شيئا فيبارك لك فيه .

وفيه أيضا من حديث زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله فقد غزا) .[2]

فترى الصحابي رضي الله عنه لما عجز عن الخروج للجهاد أدرك أنه يتحتم عليه أن يعطي جميع ما كان قد تجهز به للغزو لغيره ليتمكنوا بذلك من تهيئة أنفسهم لقتال عدوهم وأخبر امرأته بأنها إن ضنت عن ذلك الرجل المسلم بشيء مما كان قد أعده للخروج به فإن الله لن يبارك لها فيه فهم يدركون تماما أهمية البذل ويطبقون ذلك ، ونظائر هذا كثيرة، لأن الصحابة كانوا يسابقون إلى الخيرات.

(١) سورة التوبة : الآيتان ٩١ - ٩٢.

(٢) مسلم - صحيح مسلم (٣ : ١٥٠٦ - ١٥٠٧).

التضحيـة

لا شك أن التضحية عامل مهم في تهيئة الأمة الاسلامية للمعركة ومواجهة أعدائها فالتضحيـة لهـا دورها الفعال في التهيئة للمعركة . والتضحية في سبيل تهيئة الأمة الاسلامية للمعركة أنواع : منها تضحية المرء بجميع ما يملك من المال فمثال من ضحى بجميع ماله أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما يروي الترمذي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق ابابكر ـ إن سبقته يوما ـ قال : فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى ابوبكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقه إلى شيء أبدا ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[1] فهذه لا شك تضحية في سبيل الله فان أبا بكر ضحى بنفسه وولده وزوجه حيث لم يترك لهم قليلا ولا كثيرا مما يملكه مع وجوب نفقتهم عليه فحمله حب الانفاق في سبيل الله على أن يضحي بالجميع في سبيل دين الاسلام ونصرته وتهيئة الأمة للمعركة.

(١) الترمذي ـ سنن الترمذي (٥ : ٢٧٧).

التهوين من قوة العدو من حيث
فساد الغاية التي يحارب من أجلها

(وضوح الهدف يحقق الغاية)(١)

إن الأمة الإسلامية الواعية الفطنة المتفهمة لقضيتها، العارفة لواجبها لا تهاب قوى العدو ولا تخشاه لانها تستمد قوتها من إيمانها بالله سبحانه وتعالى ويقينها بعدالة قضيتها وفساد الغاية التي يقاتل من أجلها العدو، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **ألذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾(٢) فقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن المؤمنين بالله المصدقين بما جاء به نبيهم ﷺ الموقنين بما يجب عليهم تجاه دينهم وأمتهم وأوطانهم إذا قاتلوا فإنما يكون قتالهم في سبيل الله ويكونون من حزب الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

ومن فساد الغاية التي يقاتل من أجلها العدو أنه يقاتل في سبيل الطاغوت ، وسماه الله طاغوتا (من الطغيان) لتعديه وتجاوزه الحق، فهو يقاتل ليعتدي ويظلم ويبطش ويستعمر الارض ويستعبد البشر ويصد عن سبيل الله وينشر الفساد في الأرض بجميع أشكاله وصوره ، يسعى في الأرض فسادا ويهلك الحرث والنسل ولكن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأن كيد هذا العدو ضعيف إذا ما أخذنا حذرنا وأعددنا للأمر عدته وتهيأت الأمة وأصبحت كالجسد الواحد في تعاطفها وتراحمها وتآزرها كما أخبر بذلك ﷺ في الحديث الشريف. (**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)(٣). وإذا كانت الأمة على هذا المستوى من التماسك والتعاضد فسوف تتحطم على صخورها جميع الموجات العدائية التي يحملها تيار أعداء الله ، وتذهب زبدا جفاء ، وفي ذلك يقول سبحانه

---

(١) ينص مبدأ الهدف على أنه يجب توجيه جميع الجهود نحو غاية واضحة محدده حاسمة . مبادىء الحرب - كلية القيادة والأركان ، ص٤ .

(٢) سورة النساء : الآية ٧٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٦ : ١٤٠) والامام أحمد في مسنده (٤ : ٢٧٠).

وتعـالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾[1] وهذا كتاب الله يوضح لنا ويؤكد أن فساد الغاية من قتال المنافقين والكفرة يؤدي بهم إلى الكذب وعدم الوفاء لأنه ليس هناك هدف سام يحاربون من أجله. ثم يبين لنا الله تعالى مع سياق الآيات أنهم يرهبوننا ويخشوننا أشد خشية ، وأنهم جبناء لا يقوون على مواجهتنا لحرصهم على الحياة الدنيا ، فيقول الله تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ، لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وهم وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾[2] وفي الآية السابقة ما يوضح تحالف قوى الطغيان والكفر ضد المسلمين فعلى الرغم من أن قوى الشر والبغي تتنازعهم الأهواء والمصالح ، بأسهم بينهم شديد ، وقلوبهم متنافرة وأحزابهم متناحرة ، نسوا خلافاتهم إذا كان الطرف المقابل لهم الأمة الاسلامية واتحدوا ضدها للقضاء عليها ، وأكبر دليل على ذلك تبرئة الكنيسة لليهود من قتل عيسى عليه السلام . ومع كل ما نراه من تجمعهم وتآمرهم على الأمة الاسلامية نجد القرآن الكريم ينهانا عن الوهن في طلب العدو أو التكاسل عن القتال حيث يقول الله تعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾[3]، أي لا تضعفوا في طلبهم وأظهروا القوة والجلد ، والآية تشير إلى مبدأ عسكري مهم يعتبره القادة العسكريون من أهم المباديء التي تؤدي إلى النصر وهو مبدأ المبادأة.[4]

ومن الحقائق المعروفة أنه كلما أدركت الأمة أنها تقف خلف جيش يحارب من أجل قضية عادلة وأن الهدف الذي يقاتل من أجله يستحق التضحية كانت هذه الأمة وفية

---

(١) سورة الحشر : الآيتان ١١ ـ ١٢ .

(٢) سورة الحشر : الآيتان ١٣ ـ ١٤ .

(٣) سورة النساء الآية ١٠٤ .

(٤) المبادأة : مبدأ عسكري يفسح المجال أمام القائد لاختيار الأهداف والمكان والوقت والوسائل اللازمة لإنجاز المهمة . انظر محاضرة مبادىء الحرب كلية القيادة والأركان (ص٤).

مع جيشها قادرة على مواجهة أقسى التحديات من عدوها ، وأن تعرف زيف الأهداف التي يدعيها العدو ويقاتل من أجلها، فالأمة الاسلامية مستهدفة من العدو في عقيدتها ، وهي - أي العقيدة - من أهم ما يريد العدو القضاء عليه بأن يجعل الأمة الاسلامية أمة بلا عقيدة لأن العدو على يقين من خطورة العقيدة عليه ، ولقد أثبت تاريخ الأمم أن الجيوش لا تهزم لقلة موادها بل لضعف عقيدتها . ومن مخططات العدو تشكيك الأمة في دينها واتهام الدين بالرجعية والتخلف وأنه سبب لكل تأخر وفقر يصيب الأمة ليصل الى قتل روح الجهاد والمقاومة في الأمة فيتسلط عليها ويستعمرها ويسلب حريتها وينتفع بخيراتها وليوقف المد الحضاري الذي ينبع من دينها ، والواقع شاهد على ما نقوله فلا تكاد تجد دولة استعمرها العدو إلا أفسد عقائدها ونشر الفساد فيها وإذا خرج منها سلم مقاليد الحكم في أيدي من تربوا على موائده لينهجوا نهجه ويسيروا في ركابه دون أن يكلفه ذلك شيئا.

إعلام الأمة بأن شرف الغاية التي يقاتلون من أجلها يستوجب الصبر على ما يصيبهم

لقد أوضح الله سبحانه وتعالى الهدف الذي تقاتل من أجله الأمة فتقدم فلذات أكبادها راضية طائعة مختارة، مشتاقة إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . فكلما كان الثمن غاليا كانت السلعة أغلى على صاحبها ، وفي ذلك يقول الشاعر: ومن خطب الحسناء لم يغله المهر.

فبيع الأنفس في سبيل الله تجارة رابحة بلا شك ، ومن فضل الله على الناس أنه يشتري منهم تجارة البائع فيها لا يملك السلعة ، فالسلعة ـ وهي الأنفس ـ ملك لله عز وجل ، والمشتري يشتري منهم ما يملكه بأثمن منه وأعز وأقيم فهو هدف ثمين وغال بلا شك ويستحق التضحية والثبات والصبر ، بل إنهم يشترون ما هو أثمن من ذلك وأقوم ، وهو رضوان الله عز وجل الذي ما فوقه شيء . ومن علم ذلك واستيقنه هانت عليه نفسه التي بين جنبيه ورآها لا تساوي شيئا إلى جانب عظيم ما وعد الله به من الرضوان والثواب.

إن الأمة التي عرفت طريقها إلى الله تعلم علم اليقين سوف تلاقي من الشدائد والمحن ونقص الأموال وفقد الأنفس (ولذلك ذكر الله الصبر في القرآن كثيرا لعلمه سبحانه بضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات ، والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب مجندة القوى يقظة للمداخل والمخارج ولا بد من الصبر في هذا كله ، لا بد من الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر على الجهاد والصبر على الكيد بشتى صنوفه والصبر على بطء النصر والصبر على الشقة والصبر على انتفاش الباطل والصبر على قلة النصر والصبر على طول الطريق الشائك والصبر على التواء النفوس وضلال القلوب ، وثقلة العناد ومضاضة الاعراض)(١).

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أن منهج الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى الصبر وأن الجنا

---

(١) سيد قطب ـ ظلال القرآن (١ : ١٤١).

محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ الم . حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ﴾ [١]

ويقول ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضيرهم من خالفهم ولامن خذلهم حتى يأتي أمر الله [٢] » متفق على صحته فالشاهد أن الأمة الإسلامية سوف تواجه أنواع الأذى وشتى المصائب من أعدائها فلا بد أن تعد هذه الأمة إعدادا معنويا وماديا وروحيا، ويجب عليها أن ألا تنصت إلا لداعي الحق، وأن تصبر وتحتسب فهي موعودة بالنصر من الله سبحانه وتعالى ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ [٣] ويقول عز وجل ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ [٤] وقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصرو الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .[٥]

وقد اجمعت الأمة على أن الصبر واجب وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر [٦] فما من فضيلة إلا والصبر دعامتها ولا رذيلة إلا والصبر الدرع الواقي من شرها، فهو خلق الأنبياء وزاد العظماء، ولق كان لنا في رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل أمثال عمار بن ياسر وبلال وصهيب وأولئك الذين حوصروا مع رسول الله ﷺ في الشعب بمكة حتى أكلوا أوراق الشجر وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع (واشتدت قريش على من أسلم ممن لم يدخل الشعب، وعظمت الفتنة على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه رضوان الله عليهم، وزلزلوا زلزالا شديدا) [٧]

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥ : ٢٦٩).

(٣) سورة الحج : الآية ٤٠.

(٤) سورة غافر : الآية ٥١.

(٥) سورة محمد : الآية ٧.

(٦) ابن القيم ـ تهذيب مدارج السالكين (ص ٣٥١).

(٧) الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ مختصر السيرة (ص ٨٩).

فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا.

هذا نموذج لأمة رباها رسول الله ﷺ ، عرفت الغاية فصبرت على كل ما تلاقيه، وفي ذلك يقول شاعرهم خبيب بن عدي:

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وأن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع [1]

والتاريخ حافل بالبطولات والصمود، فهذا عمار بن ياسر من السابقين الأولين هو وأبوه وكانا ممن يعذب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: (صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)[2] وغيرهم كثير ممن صبروا في ميادين الشرف والتضحية يجدون في الصبر لذتهم لثقتهم بحسن الجزاء وما سيكون لهم من العوض عند الله.

ولقد اجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من رافق الراحة حصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة فان على قدر التعب تكون الراحة،[3] ويقول الله تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[4]

(نداء من الله سبحانه وتعالى إلى الأمة المسلمة أن تستعين بالصبر لأنه مفتاح الفرج وما أعطيت أمة الإيمان خيرا من الصبر، فإن احتملت مكروها كان صبرها رضي وتسليما بما قدر الله، وإن كان ضبطا للنفس كان حلما، وإن كان قتالا سمي شجاعة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه انظر فتح الباري (٧ : ٣٠٩).
(٢) ابن حجر العسقلاني ـ الاصابة (٢ : ٥١٢).
(٣) ابن القيم ـ تهذيب مدارج السالكين (ص ٣٥٩).
(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٣ ـ ١٥٧.

وقوة، وإن كان صبرا عن الشهوات كان عفة، فلا تكاد تستغني عنه الأمة التي وصفها الله بالأيمان ثم أضاف إلى الاستعانة بالصبر و الصلاة الركن الأساسي الذي لايسقط عن المسلم بأي حال من الأحوال وقد سماه بعض العلماء ركن المسلم)[1] حيث تجتمع فيه أركان الإسلام، وفي الصلاة تذكر الشهادة أثناء التشهد وتمتنع فترة من الوقت عن الأكل والشرب والكلام وفيه معنى الصيام أكثر وباستقبالك القبلة فيها معنى الحج، وباقتطاع وقت الصلاة معنى الزكاة لأن المال لا يكون إلا عن وقت عملت فيه فاستحققت أجرا فالصلاة لا تسقط عن المؤمن لا في حرب ولا سلم ولا سفر ولا إقامة ولا مرض ولا صحة، فله أن يصلي قائما وقاعدا ومضطجعا ومستلقيا على جنبه، ومشيرا بعينه وبأصابعه وحسب استطاعته وقد سماهابعض العلماء المعراج الاصغر فلذلك أمرنا الله أن نستعين بها: (وكان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة)[2].

يوجهنا الله سبحانه وتعالى إلى أن الاستعانة بالصبر والصلاةوالذكرتأكيد لمعيته سبحانه وتعالى، ومن كان الله معه لا يخشى شيئا أبدا، فهذا نبي اللهموسى عليه السلام يقابل فرعون وزبانيته وملكه بما ذكره الله تعالى: ﴿ إنني معكما اسمع وأرى ﴾[3] وفي الصحيحين عن أنس أن أبا بكر قال: (نظرت إلى اقدام المشركين فوق رؤوسنا ونحن في الغار فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا فقال: ياأبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[4] يعني: بالمعونة والنصر ويعقب آية البقرة المذكورة في الصفحة السابقة اخباره تعالى بأن قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله قتلى أعزاء أحياء قتلى كراما أزكياء، فهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا امواتا إنهم أحياء فلا يجوز أن يقال عنهم أموات إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ابن القيم ـ مدارج السالكين (ص ٣٦١).

(٢) أحمد بن حنبل ـ مسند الامام احمد (٥ : ٣٨٨).

(٣) سورة طه : الآية ٤٦.

(٤) رواه البخاري في الفتح (٩ : ٣٩٥) مطبعة البابي الحلبي ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الصديق ، ح رقم ٢٣٨١ (٤ : ١٨٥٤) طبعة دار الافتاء.

ثم تجد أن سياق الآيات يبدأ بنداء المؤمنين للاستعانة بالصبر والصلاة ثم تأتي آية الشهداء لتستعد الأمة بالصبر على ما تبتلى به من الخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات ولا بد من هذا البلاء (ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أرادوا في سبيلها من تكاليف فالتكاليف هنا هي الثمن الذي تعتز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تأملوا في سبيلها وكلما بذلوا من اجلها كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خير مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ولا صبروا عليه وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها مقدرين لها مندفعين اليها وعندئذ يجيء نصر الله ويدخل الناس في دين الله أفواجا)[1]

إن الأمة الإسلامية وهي تمر اليوم بأحرج فترة من حياتها وتواجه هذه التيارات والصراعات والمؤامرات والحروب والاعتداءات الكافرة في فلسطين ولبنان وأفغانستان وفي كثير من دول العالم جدير بها أن تفيء إلى أمر الله وأن تأخذ من الصبر الوقاية التي تحفظها من ويلات ما تعاني من اضطهاد وتشريد وتدمير وقتل جماعي دون تفريق بين شيوخ وأطفال ونساء ، وأن تتسلح بجميع ما أمر الله به من أنواع القوة سواء كانت المعنوية أو المادية لتقف في وجه خصومها وأعدائها وأن تقف في وجه البغي والطغيان والظلم والعدوان. وما أحرى بأمة الإسلام أن تتمسك بدينها وتتسامى بأخلاقها من كل ما يقعد بهمتها ويزري بكرامتها ويحط من قدرها وأن تتسم بالشجاعة والقوة والاعتزاز بهذا الدين في البأساء والضراء وحين البأس إيمانا بأن العاقبة للمتقين . وإن على أبناء الأمة الإسلامية ألا يستهويهم بريق الحياة فينسون الواجب ولا تزعجهم حادثات الليالي فيخلدون إلى الضعف ولا تستحوذ عليهم تيارات الهوى فينحدرون عن الجادة ويميلون إلى الإستكانة . إن عليهم أن يوطنوا أنفسهم على مواجهة تصاريف الحياة حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، بقلوب مؤمنة صادقة، وليعلموا أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا.

---

(١) سيد قطب ـ ظلال القرآن (١ : ١٤٥).

يقول الله تعالى : ﴿ **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾[1] في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى شرف الغاية التي لا بد أن يطمع الإنسان فيها ويتنافس عليها ويهون من أجلها كل شيء، وتصغر أمامها جميع الطموحات والمغريات لأنه شتان بين رضوان الله وسخطه فالرضا هو الغاية العظمى التي يسعى لها كل مؤمن فنرضى برضاه ونسعد بلقائه وفي هذا يقول الله تعالى لنبيه الكريم : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ فشرف الغاية التي يقاتل من أجلها كل مؤمن هو إعلاء كلمة : لا إله إلا الله لنسعد برضوان الله فلذلك يجد المؤمن لذة للمحن التي تلاقيه ويتلذذ بها ، لأنه ينظر إلى الغاية التي سيصل لها ويعمل من أجلها . ويقارن بما يعترضه في طريق وصوله إلى هذه الغاية فيجد أن هذه الدنيا كلها لا تساوي جزءا مما ينتظره عند الله إذا أخلص النية وأراد بعمله وجه الله سبحانه وتعالى فهنيئا لأمة أعدت نفسها لأسمى غاية فكانت راسخة رسوخ الجبال لا تؤثر فيها أعاصير الكفر والأهواء.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٢.

إعلاء شأن الشهداء، وكفالة أسرهم

للشهداء فضل عظيم ومنزلة عالية عند الله سبحانه وتعالى ، وقد جاءت بذلك آيات كثيرة وأحاديث نبوية نذكر منها قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾[1] ويقول تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾[2]

فالآية الأولى : نص في النهي عن حسبان أن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون حتى لا نظن أنهم بمفارقتهم للحياة وبعدهم عن أعيننا أموات ، ثم نص كذلك أنهم أحياء ، ثم يصف الله سبحانه وتعالى خصائص هذه الحياة بصفات منها :

الأولى : أنهم عند ربهم يرزقون .
الثانية : الفرح بما نالوا من فضل الله .
الثالثة : الاستبشار بإخوانهم الشهداء دليل على عدم انقطاع صلتهم بمن خلفهم وتطمينهم بعدم الخوف والحزن، واستبشارهم بنعمة الله وفضله، واليقين بأنه سبحانه لا يضيع أجر المؤمنين .

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى في الآية الأخرى حياة الشهداء وينهانا عن القول بأنهم أموات ، وفي ذلك ما يشعر بأن يكون هؤلاء الشهداء أحياء بيننا بإحياء ذكرهم وإظهار مناقبهم والفخر بهم . وأن ينسب أبناؤهم اليهم للفخر كأن يقال لهم أبناء الشهداء منقبة عظيمة لآبائهم وفخر لهم بأن يكونوا أبناء لهؤلاء الشهداء الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله حتى ننقش في قلوبهم طريق آبائهم طريق العزة

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٤ .

والكرامة والرجولة والشهامة وبذلك نهيء جيلا تتوق نفسه الى الجهاد في سبيل الله ، جيـلا ذا نفس جيـاشــة لأن تلحق بركب الشهداء جيلا يعرف قدوته في أبيه وأخيه وصديقه الذين استشهدوا في سبيل الله فعاشوا بذكراهم الطيبة وأمجادهم الحميدة أحياء بيننا.

كما يجب أن نكتب عن حياتهم ومواقفهم الخالدة وأن يتولى الاعلام عرض المشاهد التي تحكي شرف هؤلاء الأبطال معبرة عن سمو الغاية التي قاتلوا واستشهدوا من أجلها .

وقد ورد في السنة المطهرة بأن أرواحهم في أجواف طير خضر ، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون ويتنعمون . فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[1] فإذا سمعنا هذا الحديث الشريف وما أعده الله للشهداء وما يتمتعون به وينعمون بعد وفاتهم وأنهم أحياء عند ربهم اشتاقت النفوس وتهيأت لأن تحظى بالشهادة وتنال السعادة في الدنيا والآخرة ، اما النصر أو الشهادة احدى الحسنيين وروى أبو داود أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قيل له من في الجنة ؟ قال : (النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود[2] في الجنة والوئيد في الجنة)[3] وروى أيضا عن الرسول ﷺ : (ان الشهيد يشفع في سبعين من أهـل بيته)[4]. ولقد دلت هذه الاحاديث على اعلاء شأن الشهيد وعلو منزلته ورفعة

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٩ ، والحديث أخرجه أبوداود في كتاب الجهـاد (٣ : ٢٢).

(٢) المولود : أطفال المشركين ، تكلم عنهم ابن تيمية في الفتاوى (٢٤ : ٣٧٢) (٤ : ٢٧٧) وقال : الله أعلم بما كانوا عاملين يمتحنوا في العرصات.

(٣) أخرجه أبوداود في كتاب الجهاد (٣ : ٢٣).

(٤) رواه أبوداود في كتاب الجهاد (٣ : ٢٣).

مكانته عند الله ومزيته على أهل بيته حيث أعطي الشفاعة في سبعين منهم يوم القيامة عند الحاجة إلى الشفاعة ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾[1] في ذلك اليوم العصيب يجعل الله للشهيد الفضل الكبير على رؤوس الأشهاد بأن يشفع في سبعين من أهل بيته . وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة)، وفي رواية (فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[2].

وثبت عن النبي ﷺ : (أن الشهيد تظله الملائكة بأجنحتها حتى يرفع)[3]، فمن هذين الحديثين نرى الكرامة التي ينالها الشهيد حتى إنه ليتمنى العودة إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى ، وأن الملائكة تظله بأجنحتها تكريما له وإحتفاء به حتى يرفع إلى مولاه راضيا مرضيا بعد أن أدى واجبه تجاه ربه فقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وأخلص النية وجاهد في الله ، فأكرمه الله بالشهادة وأحياه الحياة الطيبة وأحيا ذكره في عقبه وبين أهله وأمته فكان أكبر مدعاة لأن يتهيأ من خلفه ليكونوا مثله ولينالوا ما نال من السعادة وليحظوا بما حظى من الفوز فكانت الشهادة مجال تنافس وتسابق إلى الخيرات ، وفي الشهادة يتنافس المتنافسون ويتسابق إليها المتسابقون ، يقول الله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[4].

وإن الكرامة التي يلقاها الشهيد في الدنيا والآخرة لهي أكبر تعزية وتسلية لأهله

---

(١) سورة عبس : الآيات ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) أخرجهما مسلم في صحيحه ، باب فضل الشهادة في سبيل الله (١٣ : ٢٤) .
ورواهما البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد باب تمني المجاهد ان يرجع الى الدنيا (٣ : ٢٠٨) .

(٣) البخاري ـ الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد ، باب ظل الملائكة على الشهيد (٣ : ٢٠٨) .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

وأحبابه الذين فارقهم في الحياة الدنيا ، بل إن تلك الكرامة هي أكبر حافز لهم من إخوانه وأبنائه وجميع أهله لأن يسلكوا ما سلك من طريق العزة والخير ، ويقتدوا به في الجهاد والاستشهاد فيردفوا ذلك الشهيد الفرد من أهل بيتهم بشهيد وشهيد ، ويمدوا الأمة الإسلامية بالمقاتلين الكرام من أبناء الشهداء . وإن الأمة التي ما تني تقدم الشهيد تلو الشهيد لهي أمة عظيمة تستحق أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

ومن وسائل تهيئة الأمة للمعركة كفالة أسر شهدائها والاعتناء بهم والقيام على شئونهم والإشفاق عليهم وفيما يخص الذرية الضعاف يقول الله تعالى ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** ﴾[(١)] ولو أن الآيـة لم تذكر جميع أسرة الشهيد من أب وأم وزوجة إلا أنها ذكرت أهم ما يتركه الإنسان خلفه ويخاف على تركه من ظلم غيره (وهذه الآية قد اختلف العلماء في تأويلها فقالت طائفة : هذا وعظللأوصياء أي افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم . فقال ابن عباس مستشهدا بقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾[(٢)] وقالت طائفة المراد جميع الناس وأمرهم باتقاء الله في الأيتام وأولاد الناس وإن لم يكونوا في حجورهم ، وأن يسددوا لهم القول كما يريد كل واحد منهم أن يفعل بولده من بعده ، ومن هذا ما حكاه الشيباني قال : كنا على قسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبد الملك فجلسنا يوما في جماعة من أهل العلم فيهم إبن الدليمي فتذاكروا ما يكون من أهوال آخر الزمان فقلت له : يا أبا بشر ودي ألا يكون لي ولد ، فقال لي ما عليك ، ما من نسمة قضى الله بخروجها من رجل ألا خرجت أحب أو كره ولكن إذا أردت أن تأمن عليهم فاتق الله في غيرهم ثم تلا الآية . وفي رواية ألا ادلك على أمر إن فعلته أنت أدركته نجـاك الله منـه وان تركت ولدا من بعـدك حفظهم فيك فقلت بلى ، فتلى هذه الآية : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** ﴾.[(٣)]

---

(١) سورة النساء : الآية ٩.

(٢) سورة النساء : الآية ١٠.

(٣) ذكره القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتاب العربي/ القاهرة (٥ : ٥)، وذكره الامام السيوطي في الدار المنثور في التفسير بالمأثور (٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) أن ابن جرير أخرجه من الشيباني . ورواه ابن جرير الطبري بسنده في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق أحمد شاكر ط الثانية دار المعارف بمصر (٨ : ٢٤) رقم الأثر ٧٨٢٠ . ورجال السند ترجم لهم الشيخ أحمد شاكر في نفس الصفحة .

فمما توحي الآية به وما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وما حكاه الشيباني كذلك من أن الله سبحانه وتعالى يحفظ أبناءك بمحافظتك وتقواك في أبناء غيرك فما بالك إذا كان آباؤهم شهداء في سبيل الله ، فكانت المحافظة والتقوى فيهم أهم لأنهم أبناء من قاتلوا عنا وقدموا أرواحهم رخيصة لله ورسوله والمؤمنين فواجب على الأمة الإسلامية الاهتمام بأسر الشهداء وتوفير كل ما تحتاجه هذه الأسر من رعاية وتعليم ونفقة وأن نحافظ على معنويات أفرادها وفي ذلك يقول ﷺ : (من أحسن الصدقة جاز على الصراط ، ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله في تركته)[1] وقوله ﷺ : (الساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الليل الصائم النهار)[2] فما بالك ان كان هذا اليتيم ابن شهيد ؟ وثبت عنه ﷺ في تعظيم حرمة نساء المجاهدين والوعيد لمن خان مجاهدا في أهله فقد قال رسول الله ﷺ (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟)[3] فإذا كان هذا عظم ذنب من خان نساء المجاهدين ، فما ظنك بمن خان نساء الشهداء فالذنب أعظم ، ومعنى قوله ﷺ : حرمة نساء المجاهدين كحرمة أمهاتهم هذا في أمرين : أحدهما تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك . والثاني في برهن والاحسان اليهن وقضاء حوائجهن التي لا تترتب عليها مفسدة ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها .[4] وقد ثبت عنه ﷺ أنه لما بلغ أهل المدينة استشهاد جعفر بن أبي طالب في مؤتة

---

(١)) عزاه القرطبي لمحمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه (٥ : ٥١) .

(٢) رواه الامام البخاري في صحيحه (٧ : ٧٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ : ١٥٠٨) كتاب الامارة ، باب حرمة نساء المجاهدين واثم من خانهم فيهن .

(٤) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٤٢) شرح الحديث .

قال : (إصنعوا لآل جعفر طعاما ، أتاهم ما يشغلهم)[1] وروى عن عبد الله ابن جعفر أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال : (لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال : أدعوا لي بني أخي فجيء بنا كأنا أفراخ ، فقال : أدعوا لي الحلاق فأمره فحلق رؤوسنا)[2] فهذه الأحاديث تدل على عنايته ﷺ واهتمامه بأسر الشهداء والحنو عليهم والأخذ بأيديهم لما يصلحهم ، والنبي ﷺ هو قائدنا وقدوتنا الحسنة نتأدب بأدبه ونتأسى بأفعاله وأقواله فتجد الأمة الإسلامية القدوة الحسنة في الاهتمام بأسر الشهداء في نبيها وحبيبها محمد ﷺ فتتهيأ للمعركة وهذا يكون سبب لاستعدادها وبذلها وتضحيتها .

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٥ : ٤٦٠) ط المكتب الاسلامي تحقيق شعيب الارناؤوط وحكم عليه بالحسن وأخرجه أبوداود في سننه (٣ :٤٩٧) ورقم ح (٣١٣٢) ط دار الكتب العلمية . والترمذي (٢ : ٢٣٤).

(٢) البغوي ـ شرح السنة (٥ : ٤٦١) وأبوداود في الجنائز (٤ :٤٠٩ ـ ٤١٠).

إنقاذ المستضعفين وفداء الأسرى

المستضعفون لغة : قال ابن الأثير : تضعفته واستضعفته بمعنى الذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال، وتضعفه أي : عده ضعيفا وأذلة[1] يقول الله تعالى في شأن فرعون : ﴿**وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم**﴾[2]

والذي نقصده من قولنا (المستضعف من المسلمين) : من كان واقعا تحت أيدي الكفرة مضطهدا مفتونا في دينه لا يستطيع إقامة شعائره ولا الخلاص مما هو فيه . ومن أسباب تهيئة الأمة للمعركة التخطيط لانقاذ المستضعفين من المسلمين من الرجال والنساء والولدان الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم وكرامة المؤمن ولعاطفة الرحمة والانسانية على الاطلاق . هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم والفتنة في دينهم ، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الانساني الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض[3] وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجل لنا من لدنك نصيرا** ﴾[4]

ففي الآية الكريمة حض على الجهاد وحث على تخليص المستضعفين المؤمنين من أيدي الكفرة الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن دينهم ، وإن إنقاذ المستضعفين من القتال في سبيل الله لكونه في سبيل الحق أو أخص من سبيل الله ، وإنقاذ المستضعفين من ظلم الأقوياء الجبارين وهم إخوانكم في الدين[5] وكانت الآية

---

(١) الزبيدي ـ تاج العروس (٦ : ١٧٢) ، مادة ضعف مجمع اللغة العربية ـ المعجم الوسيط (١ : ٥٤٢).

(٢) سورة القصص : الآية ٤ .

(٣) سيد قطب ـ ظلال القرآن (٢ : ٧٠٨).

(٤) سورة النساء : الآية ٧٥ .

(٥) رشيد رضا ـ تفسير المنار (٥ : ٢٥٩) بتصرف .

الكريمة تخص من كان بمكة من المؤمنين المستضعفين المستذلين من كفار قريش ، وكان النبي ﷺ يدعو لهم فيقول (اللهم أنج الوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين.[1] وكان ابن عباس رضي الله عنهما وأمه من هؤلاء المستضعفين كما ثبت ذلك في صحيح البخاري . عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانت أمي ممن عذر الله)[2] وفي رواية البخاري عن ابن عباس أيضا : كنت أنا وأمي ممن عذر الله .[3]

فألآيـة الكريمة والأحاديث السابقة جاءت بخصوص المستضعفين من المؤمنين الذين كانو بمكة تحت أيدي كفار قريش وما لاقوه من الفتنة في دينهم . وسنة الله لا تتغير في كل زمان ومكان ، ولو استعرضنا خارطة العالم الاسلامي لوجدنا كثيرا من المستضعفـين من المسلمين الذين لا زالوا تحت أيدي الكفرة والشيوعيين والبوذيين والصليبيين واليهود ، ولعلي هنا أستعرض بعض ما يلاقيه المسلمون المستضعفون في بلاد الكفر حاليا، فقد قام المسلمون في (كامبونغ تريس (KAMPONG TRAIS) بإعلان الجهاد في سبيل الله لاسترجاع حقوقهم في أداء واجباتهم الدينية وتابعهم المسلمون في المناطق المجاورة والخاضعة لسيطرة الشيوعيين ، وشعر الشيوعيون بالفشل في إجبار المسلمـين على ترك دينهم فلجـأوا إلى القتل الجماعي والابادة التامة لبعض القرى المسلمة وإحراق الكتب الدينية ومنع جميع أنواع العبادات واتخاذ المساجد مخازن للحبوب ومستودعات للآلات الزراعية وحظائر للخنازير ، وتكليف أئمة المساجد برعايتها وقتلهم إذا مات خنزير واحد ، وإلقاء القبض على حكام القرى المسلمة والأساتذة وأئمة المساجد وتقديمهم إلى (المنظمة العليا للشيوعيين (ONG KALOEU) وفي مقاطعة (ستونغ ترانغ) أصدر الشيوعيون الحكم بالاعدام على كل من له صلة بالدين من أئمة وحكام ومدرسين ومنعوا الباقين من تأدية الواجبات الدينية وهدموا المساجد وأجبروا المسلمين على أكل لحم الخنزير وارتكاب المحرمات) .[4]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم (٥ : ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب إلا المستضعفين من الرجال والنساء (٥ : ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله (٥ : ١٨١).

(٤) محمد يحي صالح التشامي ومحمود شاكر ـ المسلمون في الهند الصينية (٤٥ : ٤٦).

(وفي فيتنام فإن حال المسلمين لا يختلف عن حالهم في كامبوديا بالاضافة الى الجهل الكبير بالاسلام فأصبحت المساجد لا تفتح إلا يوم الجمعة ويصلي فيها الأئمة نيابة عن الشعب ويصومون رمضان عنهم)[١]

(ويلاحظ أن عدد المسلمين في الهند الصينية أكثر من مليونين ونصف المليون ويشكلون ٤٪ من مجموع السكان وان كانت هذه النسبة تختلف بين دولة وأخرى فهي ١٤,٧٪ في كامبوديا ، و ٣٪ في فيتنام وأقل من ٠,٥٪ في لاوس ولكنهم اليوم يهيمون على وجوههم في أرض الله أو يموتون بشكل فردي أو جماعي أو يعيشون في ظلمات السجون.

وفي الفلبين كانت الصليبية تقضي بأن يتم الاستيلاء على أرض المسلمين وجرهم إلى القتال وهم غير مستعدين ، على حين تهيأ النصارى واستعدوا وقاموا بحرق المزارع والقاء السموم في الآبار وقتل الحيوانات كما قامت حوادث الاغتيال والخطف وبقر البطون ونتيجة ذلك أصبح أكثر من ستين ألف أسرة مسلمة مشردة في الغابات والجبال تتعرض للقتل والسلب وهتك الأعراض إضافة إلى الجوع والبرد والمرض .

وجمعت السلطات بعض المسلمين في المسجد في شهر ربيع الآخر ١٣٩١ هـ بحجة عقد صلح بين المسلمين والنصارى وإنهاء قضية الأرض وبينما كان المسلمون في المسجد إذ دخلته جماعة مسلحة من النصارى ، وبدأت باطلاق النار من المدافع الرشاشة التي بأيدي أفرادها فكانت النتيجة أن قتل سبعون مسلما وجرح خمسون آخرون بجراحات مختلفة ، وفي الوقت نفسه كان اليهود ورجال السلطة يوزعون السلاح على القبائل الوثنية لاحداث الفتن ، وهذه القبائل حسب دعواهم بعيدة عن مجال النزاع فكان الوثنيون يقومون بهجوم على المسلمين وينزلون بهم الضربات ويثيرون الفتن والقلاقل والرعب والذعر.[٢]

---

(١) نفس المصدر السابق - (ص ٥٨).

(٢) محمود شاكر - المسلمون في الفلبين (ص ٧٩ - ٨٠).

وفي كثير من دول العالم فإن الأقليات المسلمة تواجه نفس المصير فإذا عرفنا ذلك وآمنا بأن الكفر ملة واحدة وجب علينا أن نهيء أنفسنا للجهاد في سبيل الله لما علمناه من وضع المستضعفين من المسلمين في العالم ولما سوف ينالنا من الاضطهاد وجميع أنواع التعذيب وأشكال الفتن من عدونا إذا نحن تخاذلنا عن الجهاد وخلدنا إلى الراحة وفترت عزيمتنا وعشنا حياة اللهو واللعب .

فيجب على المسلمين أن يكونوا على استعداد تام وجهاد دائم حتى يزول الظلم من العالم كله وينتشر الاسلام ، ويعم الرخاء ويطبق حكم الله في الأرض.

والأمة المجاهدة لا تعرف إلا حياة الجد والتأهب والاستعداد.

ومن إنقاذ المستضعفين فداء الأسرى وتخليصهم من أيدي الكفرة أمر واجب على الأمة الاسلامية بلا خلاف في ذلك بين العلماء . قال مالك بن أنس رحمه الله : واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم[(١)] لقوله ﷺ : (فكوا العاني)[(٢)] ففي الحديث الشريف أمر النبي ﷺ بفك العاني وهو الأسير[(٣)]. وقال القرطبي عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾[(٤)] قال علماؤنا : فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد[(٥)]. وللفقهاء كلام في فك الأسارى بالأموال أو بالرؤوس يرجع إليه في محله . وقد ذكرنا في السنة القولية في قوله عليه الصلاة والسلام (فكوا العاني) فهو أمر بفكاك الأسير دون التعيين من أن يكون فداؤه بالمال أو بتبادل الأسرى فأمر فيه بأمر عام يشمل كلا المعنيين ، ومن فعله ﷺ في فداء الأسرى حديث إياس بن سلمة عن أبيه (أنه غزا فزارة مع جماعة من الصحابة وكان أميرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه

---

(٧٤) البخاري ـ الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب فكاك الأسير.

(٧٥) نفس المصدر السابق.

(٧٦) سورة البقرة : الآية ٨٥.

(٧٧) القرطبي ـ الجامع (٢ : ٢٢).

وسبوا من فزارة سبيا كانت من جملته امرأة من أجمل نساء العرب وكان سلمة سباها فنفله إياها أبو بكر رضي الله عنه فلما قدموا المدينة لقيه رسول الله ﷺ في السوق فقال يا سلمة هب لي المرأة فقال : يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، ثم لقيه رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال : يا سلمة هب المرأة لله أبوك ، فقال : هي لك يا رسول الله وماكشفت لها ثوبا فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسرى بمكة[1]. ففي الحديث الشريف الاهتمام البالغ من رسول الله ﷺ حيث طلب المرأة من مالكها أكثر من مرة مع علمه بتعلق مالكها بها وحبه لها ولكنه عليه السلام علم مكانة تلك المرأة من الجمال والحظ حرص على أخذها لتحقيق فداء أسرى المسلمين بها حيث إن المشركين لا يألون جهدا في الحصول على هذه المرأة التي هذه أوصافها ، وثبت في صحيح البخاري من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه الأمر بفكاك الأسير فعن أبي جحيفة قال سألت عليا رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ وفي رواية ما ليس عند الناس ، فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن الا فهما يعطي رجل في كتابه . وفي رواية هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، وما في الصحيفة ، قلت وما في الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير ، وألا يقتل مسلم بكافر) .[2]

ومحل الشاهد من الحديث قوله : وفكاك الأسير ، حيث كان هذا النوع من الاهتمام بفك أسارى المسلمين من الأمور التي حرص علي بن أبي طالب رضي الله عنه على تدوينها في صحيفة واحتفظ بها لما سمع الامر بذلك من رسول الله ﷺ لما فيه من الحفاظ على كرامة المسلم والدفاع عنه ، لأن الأسير جزء من الأمة الاسلامية ، وفي إطلاق سراحه والاهتمام به تهيئته للأمة الاسلامية لأن تضحي بفلذات أكبادها ، ورفعا لروحها المعنوية التي هي من أهم عوامل تهيئة الأمة الاسلامية للمعركـــــة .

---

(١) مسلم ـ صحيح مسلم (٣ : ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب لا يقتل المسلم بالكافر (٨: ٤٧)، وفي كتاب العلم ، باب كتابة العلم (١ : ٣٦).

التحريض على القتال
تعريف التحريض ومشروعيته وأهميته

التعريف: التحريض: تفعيل. من حرضه على الشيء يحرضه تحريضا. أي حثه عليه، يقال حرضه على القتال وأحماه عليه من معنى حثه وحضه عليه.(١)

ويقال حثهم وحضهم إذا حرضهم كما يقال: حارض على الأمر وواصب وأكب بمعنى واحد، والتحريض على القتال الحث والاحماء عليه، قال الله تعالى ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾، أي حثهم عليه بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه .(٢)

والحرض: ـ بفتح الحاء والراء وضم الضاد ـ هو الانهاك بالمرض حتى أصبح حرضا أي منهكا، المشفي على الهلاك، ويقال: أحرضه المرض.

يقول الله تعالى ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾(٣)، قال المفسرون: حرضا: أي ضعيف القوة.(٤)

الأصل في مشروعيته: الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾(٥) وقال تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾ . (٦)

---

(١) الفيومي ـ المصباح المنير (١ : ١٤١)، الزبيدي ـ تاج العروس (٥ : ١٩)، الجوهري ـ الصحاح (٣ : ١٠٧٠).

(٢) الراغب الأصفهاني ـ المفردات (ص١١٣).

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٥.

(٤) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (٢ : ٤٨٨).

(٥) سورة الأنفال: الآية ٦٥.

(٦) سورة النساء: الآية ٨٤.

ووجه الدلالة من الآيتين أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ بتحريض المؤمنين على الجهاد والقتال في سبيل الله وحثهم عليه وذلك يدل على مشروعيته.

أما السنة: فإن النبي ﷺ استجاب لأمر ربه له بتحريض المؤمنين وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه حرض المؤمنين قولا وفعلا.

أما القول فمنه حديث علي رضي الله عنه في قصة بدر، وفيها: (فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال..)(١)

وأما الفعل فمنه أخذه البيعة على أصحابه تحت الشجرة، وقصتها في الصحيح مشهورة، وفيها أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس.

وذكر البخاري بسنده عن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.(٢)

أهمية التحريض على القتال:

أولا: أهميته بالنسبة للمقاتل: تبرز أهمية التحريض بالنسبة للمقاتل في كونه من أهم العوامل المحصنة من الانتكاس، ويظهر ذلك جليا في حفظه لمعنوية المقاتل، إذ هو حافز على الاستعداد لتلقي ما يطرأ على المقاتل من شدائد الحرب وأهوالها، ولو خلى المقاتل

---

(١) أحمد بن حنبل ـ المسند (١ : ١١٧).

(٢) البخاري ـ الجامع الصحيح (٣ : ٤٤)، ورواه ابن اسحق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن مسورة بن مخرمة ومروان بن الحكم. انظر ابن هشام ـ السيرة النبوية (٣ : ٣٣٠).

عن ذلك التحريض لما سلم من أن يعتريه الخور والضعف، فيبتلى بالانتكاس لأدنى عارض يلقاه وبذلك يخسر دينه ودنياه وآخرته. فبهذا ظهرت أهمية التحريض وأنه من أعظم الأسباب التي يسلم بها المقاتل من الخسارة والفشل.

وله أهميـة أخرى تظهر في إعطائه الثقة للمقاتل في القيادة إذ بتحريض القائد للمقاتلين يشعر الواحد منهم بعميق الثقة في تلك القيادة لاحساسه بقوته أثناء اللقاء، الأمر الذي يهون عليه كل المصاعب التي يلقاها ويساعده على الاستمرار بهمة عالية ومعنوية جيدة.

ثانيا: أهميته بالنسبة للمعركة: تبرز أهميه التحريض بالنسبة للمعركة في كونه من أعظم الأسباب التي يضمن معها القائد كسبه للمعركة فتحريضه لجنوده في الميدان أو قبل دخول المعركة له أهمية بالغة في كسب تلك المعركة وضمان سلامة جنوده من التفكك والضعف، خصـوصـا في المواقف الصعبة عندما يكون عددهم أقل من العدد بكثير فيتمكن القائد عن طريق التحريض من تقوية معنوياتهم إلى درجة يحصل معها تكافؤ القوتين أو تفوقه على العدو حسب خبرته في التحريض. فظهر بهذا أن التحريض من أعظم الوسائل التي يستطيع القائد معها كسب المعركة رغم ما هو عليه من ضعف مادي.

أساليــب التحريــض

١. **أسلوب الترغيب**: ثبت التحريض بالترغيب في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ف ورد في الكتاب قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم ا. يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا في التوارة والانجيل والقرآن و أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم﴾.(١)

فأخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وفي هذا أعظم تحريض للمؤمنين على القتال حيث أخبروا بأن الجنة عوض لهم عن أمـوالهم وأنفسهم وأخبرهم الله بوفاء عهده لهم بذلك ولهذا كان ﷺ يحرض على القتال عند مواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)**.(٢)

وقـال تعالى ﴿. . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيائتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾(٣)، ويكفي في هذه الآية من التحريض أنه يكفر عنهم سيائتهم ويدخلهم الجنة.

ومن السنة الدالة على التحريض على القتال ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **(تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة)**(٤) وفي رواية مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي**

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (٢ : ٣٢٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٤) هذا لفظ البخاري.

ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم(١) يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل)(٢)

وثبت في الصحيحين أيضا عنه ﷺ أنه قال: **(لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب)** ولفظ مسلم **(خير من الدنيا وما فيها)**(٣)

فهذه الآيات والأحاديث فيها التحريض على القتال ففي الآية الأولى أخبر الله تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بثمن هو الجنة كما تقدم ذلك، وفي الآية الثانية أخبر أنهم إن قاتلوا في سبيله وقتلوا كفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم الجنة كما تقدم أيضا.

أما الحديث الأول فقد حرض فيه ﷺ المسلمين على القتال ورغبهم فيه حيث أخبرهم أنه ضمن للمجاهد أحد أمرين: إما أن يدخله الجنة إذا مات وإما أن يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من الأجر والغنيمة فهذا أعظم تحريض وترغيب في الجهاد في سبيل الله. أما الحديث الثاني فقد حرض فيه ﷺ على القتال ورغب فيه، حيث أخبر أن الغدوة الواحدة ـ وهي الخروج أول النهار في سبيل الله ـ والروحة الواحدة ـ وهي الخروج آخر النهار ـ خير للمسلم من الدنيا وما فيها.

---

(١) الكلم ـ الجرح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس. باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم (٣: ١٤٩٩) ومسلم في كتاب الامارة (٣: ١٤٨٥).

(٣) البخاري في كتاب الجهاد، في باب الغدوة والروحة في سبيل الله، (٣: ٢٠٢) ومسلم في كتاب الامارة، باب الغدوة والروحة في سبيل الله (١٣ ـ ٢٦).

وقال تعالى ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾(١)، وقال تعالى: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾(٢) ففي الآية الأولى ترغيب للمقاتلين في سبيل الله المصطفين المقبلين غير المدبرين متماسكين كالبنيان فأخبر تعالى أنه يحب من هذه صفته، وكفى بهذا ترغيبا لأن محبة الله هي الغاية القصوى لكل مؤمن. وفي الآية الأخرى أخبر تعالى أن المقاتلين في سبيل الله لن تضل أعمالهم وأن الله يهديهم إلى الخير ويصلح حالهم ويدخلهم الجنة يعرفون منازلهم منها سواء قتلوا أو قاتلوا ولم يقتلوا كما تدل لذلك القراءتان: قاتلوا بصيغة المفاعلة، وقتلوا للبناء للمجهول.

٢. أسلوب الترهيب من عدم الاقبال على القتال في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم﴾(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **(من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات عل شعبة من النفاق)**(٥)

---

(١) سورة الصف: الآية ٤.

(٢) سورة محمد: الآيات ٤، ٥، ٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٦.

(٤) أبو داود ـ سنن أبي داود (٣: ٧٤٠).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الامارة، باب ذم من مات ولم يغز، الحديث رقم ١٩١٠ وأبو دود رقم ٢٥٠٢، والنسائي (٨: ٦).

وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: **(من لم يغز ولم يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله تعالى بقارعة قبل يوم القيامة)**(١)، وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)**(٢).

فالآية الكريمة تدل دلالة واضحة على الترهيب من التولي عن العدو والفرار منه إلا إذا كان ذلك مخادعة في الحرب بحيث يكون قاصدا أن يرى عدوه الخوف منه ليتبعه ثم يكر عليه فلا بأس في ذلك أو يفر من مكان إلى مكان ذاهبا إلى فئة متحيزا إليها ليعاونوه فيجوز له ذلك ولا يعد فرارا(٣)، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)**(٤)ويكفي في الترهيب من التولي والفرار اخبار الله جل وعلا إن فاعل ذلك باء بغضب منه وأن مأواه جهنم وبئس المصير.

وكذلك في الأحاديث من التنفير ما فيه زاجر عظيم عن الفرار وعدم الاقبال على الجهاد حيث كان في حديث ابن عمر ما يدل على أن تارك الجهاد يسلط الله عليه الذل الذي لا ينزع حتى يرجع إلى الدين، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه أن من مات ولم يغز في سبيل الله ولم يحدث نفسه بالغزو أخذ حظه من النفاق حيث يموت على شعبة منه.

وفي حديث أبي أمامة أيضا ترهيب من عدم الغزو وعدم إعانة الغازي بسلاح أو غيره حيث أخبر ﷺ في الحديث الشريف أن من لم يغز بنفسه أو يجهز غازيا أو يخلفه في أهله أصيب بقارعة قبل يوم القيامة، وقد عجل الله له العقوبة قبل يوم القيامة، وما عند الله له يوم القيامة أعظم. (٥)

---

(١) ابن ماجة، باب التغليظ في ترك الجهاد، ح٢٧٦٢، وأبو داود، في كتاب الجهاد ح ٢٥٣٠.

(٢) رواه الطبراني، انظر المنذري ـ الترغيب والترهيب (٣ : ١٥٤).

(٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (٢ : ٢٩٤).

(٤) البخاري ـ الجامع الصحيح (٢ : ١٣١) كتاب الجهاد.

(٥) سورة النساء : الآية ٧٥.

وفي حديث أبي بكر أيضا الترهيب من ترك الجهاد والاخبار بأن الجهاد ما تركه قوم إلا عمهم الله بالعذاب، والأحاديث بهذا كثيرة. وأما الحديث الذي ورد في الصحيحين فقد أخبر فيه ﷺ أن التولي والادبار عن الأعداء من الموبقات أي المغرقات في النار وأن ذلك من أكبر الكبائر كما أخبر به ﷺ .

٣. اسلوب المبالغة في التحريض بطريق الاستفهام:

قال تعالى: ﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . .**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**).(٢)

قوله تعالى في الآية الأولى (**وما لكم**)خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه. وهو مبتدأ وخبر، والمعنى أي شيء لكم غير مقاتلين أي لا عذر لكم في ترك القتال(٣).

وفي الآية الثانية قوله تعالى (**ألا تقاتلون**) الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار.(٤)

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٣.

(٢) تفسير أبي السعود (٢: ٢٠١).

(٣) نفس المصدر السابق (٤: ٤٨).

نماذج من التحريض على القتال

التاريخ الاسلامي حافل بالنماذج للتحريض على القتال، فقد سجل لنا روائع كثيرة من خطب قادة الفتوح، ومن قبلهم الخلفاء والصحابة الكرام، ثم أناشيد القتال وأراجيزه التي كان يشدو بها المقاتلون في مواطن البأس والتي كانت تفعل فعلها في نفوسهم ونفوس اخوانهم من المجاهدين مثلما كان لها أثرها المدمر في نقوس الأعداء، وسوف نستعرض فيما يلي بعض النماذج لخطب القادة المسلمين في التحريض على الجهاد والقتال والحض عليه، ولنبدأ بالخطبة التي رواها أهل المغازي والسير عن النبي ﷺ لما تقابل المسلمون والمشركون يوم بدر، ودفع ﷺ لواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر ولواء الأوس إلى سعد بن معاذ، قالوا خطب رسول الله ﷺ يومئذ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر:

(أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازله عنده، به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به هما، وينجي به من الغم وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه فإن الله يقول ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه وأراكم من آياته وأعزكم بعد ذلك فاستمسكوا به يرض ربكم عنكم وأبلوا ربكم في المواطن أمرا تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته فإن وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم إليه ألجأنا ظهورنا وبه اعتصمنا وعليه توكلنا وإليه المصير، أستغفر الله لي وللمسلمين)(١).

---

(١) الواقدي - المغازي (١ : ٥٨ - ٥٩).

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لما جمع أبو بكر رضي الله عنه الجيوش التي جهزها إلى الشام قام خطيبا فيهم فأثنى على الله بما هو أهله، فلما حث الناس على الجهاد قال:

(ألا لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجهاد، والقصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد إلا بإيمان، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي النجاة التي دل الله عليها إذ نجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة)(١).

ولما كانت وقعة اليرموك ووقع فيها ما وقع عند تجمع جيوش الروم وكثرتهم وقلة جيوش المسلمين بالنسبة إلى عدوهم، كتب إليه أمراء الجيوش يخبرونه بالأمر كتب إليهم (أن اجتمعوا وكونوا جندا واحدا، والقوا جنود المشركين فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها وليصل كل رجل منكم بأصحابه)(٢).

خطبة طارق بن زياد:

لما عبر طارق بن زياد البحر في فتحه لبلاد الأندلس على البواخر أوهم بإحراق السفن التي عبر بها لئلا يتراجع عليها الجيش إذا انهزم أمام العدو وقام فيهم خطيبا فقال: (أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم والعدو من أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مائدة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية (٨ : ٣).

(٢) نفس المرجع السابق (٨ : ٥).

تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها عنكم الجرأة عليكم، فارفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العامة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (١)، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة وأن انتهاز الفرصة فيه لمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت)(٢).

كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد أما بعد فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أنما عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ﴿**فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا**﴾ واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم)(٣).

وعلى ذلك النمط سار قادة المسلمين يذكرون جنودهم بطاعة الله ويحضونهم على الثبات ويخوفونهم عواقب الفرار، ويحرضونهم على القتال، فكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذكر الناس ويقول: (يا أهل الاسلام، إن الصبر فلاح، وإن الفشل عجز، وإن مع الصبر النصر) وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد (احرص على الموت توهب لك الحياة)(٤).

---

(١) ملك الأسبان لوذريق.

(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد (١ : ١٣٥).

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد (١ : ١٣٠). والآية هي رقم ٥ من سورة الاسراء.

(٤) نفس المرجع السابق (١ : ١٠٠).

وكان خالد بن الوليد يقول لجنوده أيضا قبل القتال: (هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لن نفلح بعدها) وبينما كان خالد يتنقل بين صفوف الجند سمع رجلا يقول: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين) فقال له: (بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجيوش بالنصر وتقل بالخذلان).

ووقف أبو عبيدة خطيبا بجنده، ومما قاله لهم: (لا تتركوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدأوهم بالقتال، وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا عن ذكر الله في أنفسكم حتى يتم أمركم إن شاء الله).

وكا أبو سفيان بن حرب يطوف بالصفوف ويقول بأعلى صوته (يا معشر المسلمين أنتم العرب أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل... وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وبينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معول إلا الصبر ورجاء ما وعد فهو خير معول فأمتنعوا لله بسيوفكم وتعاونوا بها ولتكن هي الحصن).

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لجنده: (غضوا الأبصار واجثوا على الركب وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجههم وثبة الأسد.. ولا تهولنكم جموعهم ولا عددهم فإنهم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير أولاد الحجول).(١)

ففي هذه الخطب نماذج عظيمة وتشجيع للجندي المسلم وتهيئة له وإعداد ليكون مستعدا الاستعداد التام، وفيها إثارة لضميره، وتحريك لطبيعته البشرية كما أن فيها تبيينا للحقائق وأنه لا مفر من الله إلا إليه، وفيها حسن التوكل على الله، والثقة بنصره للمؤمنين، وأن المسلمين لن يؤتوا ولن يهزموا من قلتهم وقلة عددهم، وإنما يؤتون من

---

(١) عمر رضا كحالة ـ سيف الله خالد بن الوليد (ص ١٤٦ ـ ١٤٨) وأنظر: المقدم بسن سويد ـ معارك خالد بن الوليد (ص ٢٥٨ ـ ٢٦١).

جراء ما يرتكبونه من الذنوب، فإذا احترسوا منها وأطاعوا الله واتقوه حق تقاته فازوا بالظفر لا محالة.

كما أن في الخطب أيضا وصية بالمؤاخاة والمناصرة والمواصلة بحيث يكونون كالبنيان المرصوص صفا واحدا، وفيها الوصية بالصدق في القول والعمل والصبر لأن من أعظم أنواع الصبر الصبر على الجهاد ، إذ فيه الصبر على الطاعة ، لأن الله أمر بجهاد المشركين ، وامتثال أمره طاعة ، وفيه الصبر عن المعصية لأن الله نهى عن الفرار أمام المشركين ، ومن خالف ذلك النهي فقد عصى الله ، وفيه الصبر على المصيبة ، لأن فيه الصبر على القتل والجراح ، فأجتمعت أنواع الصبر الثلاثة في الجهاد .

نماذج من أراجيز القتال :

إن أراجيز القتال قد عرفت منذ أزمان سحيقة يستجلب بها المقاتلون الحماس والثبات ويقطعون بها نياط قلوب أعدائهم ، ويستنهضون بها همم إخوانهم في الصفوف ، وقد أثر من ذلك في صدر الاسلام الشيء الكثير وكان رسول الله ﷺ يشارك أصحابه فيها ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يرتجزون بها في المعارك من بعده ، وقد سجل التاريخ عنهم أناشيد خالدة ومآثر باقية تسجل بطولاتهم وإقدامهم وتصف صبرهم وثباتهم في تلك المواقف العظيمة والمواطن الخالدة . قال البراء بن عازب : كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول من رجز ابن رواحه رضي الله عنه .

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا
إن الالى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان في صحيحيهما (١).

وقد روى أبو داود حديث شاهد عيان يقول : لكأني أنظر الى جعفر حين اقتحم على فرس له شقراء ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل (٢) ، وهو ينشد :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إن لاقيتها ضرابها(٣)

وكان عمير بن الحمام ـ من بني سلمة ـ رضي الله عنه حينما رمى التمرات من يده يوم بدر ثم انطلق يقاتل المشركين حتى استشهد رضي الله عنه يقول :

---

(١) رواه البخاري، انظر فتح الباري (٧ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠) ط السلفية .

(٢) انظر سيرة ابن هشام طبعة الكليات الأزهرية تحقيق عبد الرؤف سعد (٤ : ٦٢).

(٣) الماوردي ـ الأحكام السلطانية (ص ٤١).

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد(١)

وكان عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه يرتجز في غزوة مؤته :

يا نفس إلا تقتلي تموتي إن تسلمي اليوم فلن تفوتي
أو تبتلى فطال ما عوفيت هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلي فعلها هديت وإن تأخرت فقد شقيت

ويقول أيضا :

أقسمت يا نفس لتنزلنه كارهة أو لتطاوعنه
مالي أراك تكرهين الجنة فطالما قد كنت مطمئنة (٢)

وقال كعب بن مالك الأنصاري :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة على أحد يجمي الذمار ويمنعُ

ولكننا نقلي الفرار ولا نرى الفرار لمن يرجو العواقب ينفعُ(٣)

---

(١) سنن أبي داود طبعة حمص تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد (٣ : ٦٢).

(٢) وانظر فتح الباري ط السلفية (٧ : ٥١١). والسيرة لابن هشام مجلد ٢ (٤ : ١٣ - ١٤).

(٣) كتاب الحماسة للبحتري ص ٤٤ .

(الخلاصــة)

أن السلام هو الأصل في الاسلام ، وأن الحرب ضرورة تقدر بقدرها ، لا يخوضها المسلمون إلا حينما لا يكون لهم بد من خوضها ، وأن الحرب تنتهي بمجرد إنتهاء الحاجة اليها وزوال بواعثها التي نشبت من أجلها فالغاية من الحرب في الاسلام هي أن ينتشر السلام ويقوم العدل وينعم الناس بظله.

أن كون السلام هو الاصل في الاسلام لا يعني بالضرورة أن الحرب في الاسلام هي حرب دفاعية فقط كما هو شائع عند بعض الكتاب ، أو هجومية كما اصطلح عليه البعض الآخر ، فوصف الجهاد في الاسلام بأنه هجومي فقط أو دفاعي فقد لا يصح اطلاقه على الجهاد الاسلامي البتة ، فالجهاد اسم شامل لجميع العمليات الحربية يؤخذ من كل منها بما يمليه الموقف ويرتضيه الاسلام دون تخصيص الحرب بمسمى الدفــاع أو الهجــوم فبــواعث الجهــاد وأغــراضه وغاياته نلتمسها في الاسلام ذاته ونستمـدهـا من مصــادر التشريــع وليس من المرحلة المؤقتة التي تفرضها الظروف والأحداث دفاعية كانت أم هجومية.

أن بواعث الحــرب في الاســلام تتمثل في حماية الدين والنفس والوطن والمال والعرض وتأمين سلامة الدول وأمنها وقتال أهل الردة والبغي وقطاع الطرق وناكثي العهــود ولدفع العدوان وتأمين الدعوة وحماية الدعاة ونصرة المظلوم . وأن الدين هو أوجب ما ينبغي الدفاع عنه لأن حماية الأموال والأنفس والأعراض والوطن تأتي بالتبع لحمــاية العقيدة وتأمينها فبحماية العقيدة يسود العدل والسلام وتحمى بقية القيم الأخرى بالتبع .

أن غايات الحرب في الاسلام ثابته لا تتغير وهي اعلاء كلمة التوحيد في كل مكان وحمل الخير للناس بتأمين الهداية لهم وعصمة الدماء وتأمين حقوق الانسان ونشر القيم الاســلامية كالعدل والمساواة والوفاء بالعهود واحترام الانسان وتكريم البشرية والأخوة في الله . وأن الاسلام يتميز في ذلك عن جميع الأنظمة والعقائد الموجودة على وجــه الأرض والتي تخــالط غايات الحرب فيها أهواء البشر ومطامعهم وتتحكم فيها

المصلحة والمنفعة الشخصية وبقية القيم الأرضية الأخرى.

أن الأمة الاسلامية مأمورة بالاعداد للجهاد واتخاذ القوة في كل الأوقات والأماكن سواء كان ذلك في وقت السلم أو الحرب ، وأن كل سبب مباح يؤدي الى زيادة قوة المسلمين وارهاب أعدائهم وتوهين قواهم هو من القوة المأمور بها شرعا والواجب على الأمة السعي لاتخاذها واعدادها .

ان اعداد الجندي المسلم معنويا وماديا هو من أوجب واجبات الأمة المسلمة في سبيل اعداد القوة التي ترهب الأعداء وأن بناء النفس المؤمنة بربها هو من أسباب القوة وأنه يجب على الأمة الاهتمام بالاعداد المعنوي لكل أفرادها بتزكية الأنفس وتطهيرها وتربيتها وتدريبها على طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب معاصيه والاكثار من ذكره وتمثل القيم الاسلامية وتطبيقها على واقع حياة الجندي وأن من تلك القيم الايثار والصبر والرغبة في الشهادة والرهبة من المعاصي والخصال المذمومة وتطهير النفس من الخيانة وعدم التولي يوم الزحف واظهار الشدة والبأس على الأعداء والاقدام في الحروب.

أن تهيئة الامة جميعها للمعركة يدخل في باب الاعداد لتكون مستعدة ومتيقظة لكل ما يخططه العدو ويحيكه ضدها وتكون مستعدة للتصدي لتلك المخططات وافشالها وأن من وسائل ترغيب الأمة في الجهاد بيان فضل المجاهدين وتهيئة السبل للقادرين على الجهاد للمشاركة فيه ويتم ذلك من خلال شتى وسائل الاعلام اضافة إلى تنشئة الأجيال في المراحل التعليمية على حب الغزو والجهاد وبث الروح الجهادية في الشباب وادخال أنظمة التدريب الطوعي والالزامي واقامة المعسكرات وادخال المادة الجهادية ضمن المقررات المدرسية وتشجيع الأمة للتكفل برعاية أبناء المجاهدين وأسرهم واستنفار العلماء لندب الأمة للجهاد .

تحريض الأمة على القتال يحصنها من الانتكاس ويرفع معنويات المقاتلين ويمنحهم الثقة في أنفسهم ، والتحريض من أهم وسائل كسب المعركة وتستخدم في ذلك الوسائل المختلفة شعرا ونثرا وبالخطب الحماسية التي تحض على الاقدام والثبات وترغب فيما

عند الله وترهب من عاقبة الفرار وللكلمة المنثورة وغير المنثورة وقعها في الانفس وأثرها على المقاتلين

لما كانت القوة المعنوية وحدها لا تكفي لصد العدوان وقمع الظلم كان لا بد من اتخاذ قوة مادية تسندها وتكون مرهبة للأعداء وتلك القوة تتمثل في الرجال الأقوياء والآلة القوية .

أن القـوة المأمور باتخاذها واعدادها ليست قوة دون قوة ولكنها كل قوة ترهب الأعـداء وتحقق الغـايات ويستعان بها على العدو مهما اختلفت تلك القوة باختلاف الأزمان أو تعددت وسائلها أو تنوعت أشكالها وأن المسلمين مأمورون بالسعى لامتلاك تلك الوسائل وتطويرها والتفوق في مجالاتها .

* المراجع :

(١) القــــرآن الكـــــريم .

(٢) ابن تيمية ـ شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي .

مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي .

(٣) ابن حجر العسقلاني ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي .

الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق د. طـه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٤) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية .

طبعة دار الفكر بيروت، بتحقيق واشراف محب الدين الخطيب .

(٥) ابن حنبل ـ أحمد بن حنبل الشيباني .

المسند، طبعة دار صادر، بيروت، لبنان .

(٦) ابن عابدين ـ محمد أمين الشهير بابن عابدين .

حاشية رد المحتار .

ابن عبد البر ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ) .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ضمن كتاب الاصابة، تحقيق د. طه محمد الزيني، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م .

(٨) ابن عبد الوهاب ـ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

مختصر سيرة الرسول ﷺ، الطبعة السلفية . مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م راجعه وحقق أصوله محمد حامد الفقي .

(٩) ابن عبد ربه ـ أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٧٨هـ) .

العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة دار الفكر، الطبعة الثانية .

(١٠) ابن العربي ـ أبو بكر بن محمد.

أحكام القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

(١١) ابن القيم ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.

تهذيب مدارج السالكين، طبعة وزارة العدل والشئون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة.

زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

(١٢) ابن كثير ـ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٤٧).

البداية والنهاية، ١٤ جزءا في ٧ مجلدات، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٩م.

الطبعة الأولى، مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م.

(١٣) **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م/١٣٨٨هـ. طبعة عيسى الحلبي.

(١٤) ابن ماجة ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٩٧٥).

سنن ابن ماجة، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي ١٩٧٥م/١٣٩٥هـ.

وطبعة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٣م.

(١٥) ابن منظور ـ محمد بن مكي.

لسان العرب المحيط، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف يوسف خياط، نديم مرعشلي، طبعة دار لبنان العرب، بيروت.

(١٦) ابن هشام ـ محمد بن عبد الملك.

السيرة النبوية، بتحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، تراث الاسلام، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(١٧) أبو داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني.

سنن أبي داود، مراجعة وترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد، دار احياء السنة النبوية.

(١٨) أبو السعود ـ ابن محمد العمادي.

تفسير أبي السعود، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

الأصفهاني ـ الراغب الأصفهاني.

المفردات في اللغة.

(١٩) البحتري ـ أبو عبادة بن الوليد.

الحمـــــاسة.

(٢٠) البخاري ـ الامام محمد بن اسماعيل البخاري.

الجامع الصحيح، طبعة مصطفى البابي الحلبي، وطبعة المكتبة الاسلامية استانبول تركيا.

(٢١) البغوي ـ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦ ـ ٥١٦هـ).

شـــرح السنـــة.

(٢٢) البنا ـ الامام الشهيد حسن بن عبد الرحمن البنا.

السلام في الاسلام، طبعة دار الفكر الاسلامي، القاهرة.

(٢٣) التشامبي وشاكر ـ محمد يحيى صالح التشامبي، ومحمود محمد شاكر.

المسلمون في الهند الصينية.

(٢٤) الترمذي ـ الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ، المطبعة المصرية القاهرة ١٩٣١م.

الشمائل المحمدية، ٤٠٠ حديث في صفات النبي ﷺ الخلقية والخلقية، تحقيق عزت عبيد الدعاس، مطبعة الصفاة، حلب ومطابع دار العلم، جدة ١٤٠٤هـ.

(٢٥) الجوهري ـ اسماعيل بن حماد.

الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٢٦) الدردير ـ سيدي أحمد بن محمد.

الشرح الصغير على أقرب المسالك.

(٢٧) الزبيدي ـ محمد مرتضى الزبيدي.

تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.

(٢٨) الزحيلي ـ وهبة الزحيلي.

آثار الحرب في الفقه الاسلامي، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٩٨١م بيروت.

الفقه الاسلامي وأدلته، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ.

(٢٩) الزمخشري ـ محمد بن عمر الجارالله.

أساس البلاغة، بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٣٠) **الكشـــاف**، دار الفكر بيروت.

(٣١) السهيلي ـ الامام الحارث عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١هـ).

الروض الأنف ومعه السيرة النبوية لابن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة للطباعة والنشر ١٩٧٨م.

طبعة دار النصر القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل.

(٣٢) الشوكاني ـ محمد بن علي الشوكاني.

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٦٤م.

(٣٣) **نيل الأوطار**، دار الجيل بيروت، ١٩٧٣م.

(٣٤) الطبري ـ أبو جعفر.

جامع البيان عن تأويل القرآن.

اختلاف الفقهاء، تحقيق الدكتور شخت.

(٣٥) الفيومي ـ أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ.

المصباح المنير، تصحيح مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٣٦) القادري ـ د. عبد الله بن أحمد القادري.

الجهادي في سبيل الله، حقيقته وغايته، الطبعة الأولى، دار المنار، جدة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣٧) القرطبي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .

الجامع لأحكام القرآن، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٧م .

(٣٨) الكاساني ـ أبو بكر بن مسعود .

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة العاصمة بالقاهرة، تخريج أحمد مختار عثمان، الناشر زكريا علي يوسف .

وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

(٣٩) الماوردي ـ أبو الحسن علي بن حبيب الماردي البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ) .

النكت والعيون، تفسير الماوردي .

(٤٠) **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م/١٣٩٨هـ .

(٤١) المنذري ـ الحافظ محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري .

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ .

(٤٢) المودودي ـ أبو الأعلى .

الجهاد في سبيل الله .

(٤٣) النووي ـ يحيى بن شرف .

صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٩٢٩م .

محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة .

طبعة دار الفكر .

(٤٤) الواقدي ـ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي .

المغازي، طبعة دار الجيل، بيروت .

دروس في الكتمان .

(٤٥) الرسول القائد .

العسكرية العربية الاسلامية، كتاب الأمة، مطابع الأمة، الدوحة قطر، الطبع الأولى ١٤٠٣هـ .

(٤٦) رضا - الشيخ محمد رشيد رضا.

تفسير المنار، طبعة دار الفكر.

(٤٧) سويد - المقدم ياسين سويد.

معارك خالد بن الوليد ، رضي الله عنه.

(٤٨) شاكر - محمود محمد شاكر.

المسلمون في الفلبين.

(٤٩) عبد الباقي - محمد فؤاد.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٥٠) فرج - محمد.

العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ﷺ.

(٥١) قطب - سيد.

السلام العالمي والاسلام، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٥٢) **في ظلال القرآن**، دار الشروق، جدة، الطبعة الثالثة.

(٥٣) كحالة - عمر رضا كحالة.

سيف الله خالد بن الوليد.

(٥٤) مجمع اللغة العربية.

المعجم الوسيط، تأليف: د. ابراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد.

(٥٥) مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري.

صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها.

مطابع القوات المسلحة السعودية
ARMED FORCES PRINTING PRESS